

تعريب الطب
لماذا ؟ ومتى ؟
وكيف ؟
الحكيم
راجي عباس التكريتي
دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

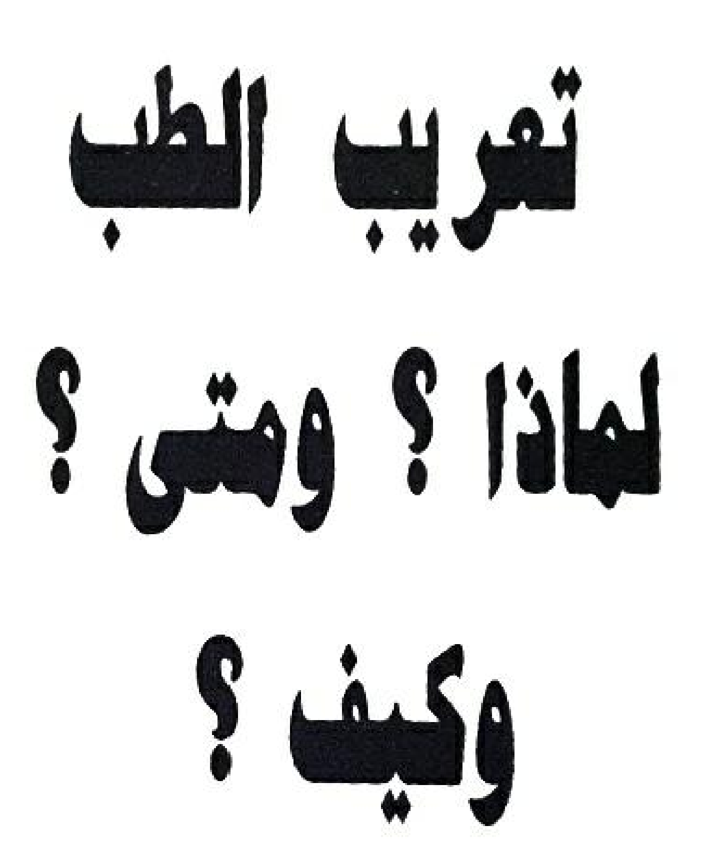
بغداد — ١٩٩١





طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان :
العراق - بغداد - اعظمية
ص . ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤



تعريب الطب لماذا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

الحكيم

راجي عباس التكريتي

الطبعة الاولى ١٩٩١



تعريب الطب ، لماذا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

في اللغة العربية مفردات كثيرة ومعان لا تحصى اذا سبرنا غورها وتخيرنا اسماءها ، واذا ما تعذر علينا ذلك فما الضير من أن يكون هناك تنسيق مع علماء اللغة والأدب ؟

ففي اللغة العربية الاشتقاق ، وهناك النحت والتركيب والتعريب .

وهذا الكتاب واحد من الكتب التي تؤكد على موقع اللغة العربية وتكيفها من أجل الالمام بالمفردات واختيار المصطلح الملائم ، اذ ان اللغة العربية هي اقرب الى أصل المسميات متوخين بعث التراث العربي الاسلامي ، ففيه الدليل لاسلوب الأقدمين في النقل والتعريب .



Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

تصـــدير

قلبت أوراق هذا الكتاب المختصر النافع ، الممتع المفيد للأخ الصديق الفاضل الحكيم راجي التكريتي مهتماً بما فيه ، مطرياً ما يحويه . وكنت أميل الى تصديره بما عندي في العربية والمعرب والتعريب . كما كنت أرغب في تفصيل تاريخ الترجمة وعصور النقل ، ومكانة اللغة العربية في التأليف والتدوين . ثم رأيت أن لا تشغل مقدمتي المستفيدين من هذا الكتاب ، وآثرت أن تغريهم افكاره بالاهتمام بأمّ اللغات .

أنا لا أريد أن اكرر ما قاله الأخ المؤلف الفاضل ، وانما اكتفي بما يكفي من الاشارات الى مقام العربية التي كنت قلت في ١٩ آذار ١٩٨٧ ، في المؤتمر الثاني للمجلس الأعلى للجمعيات العلمية - وكنت ضيف المؤتمر - ان الآثار الباقية من بقايا التراث العربي الاسلامي لو نضدت بعضها فوق بعض لزاد ارتفاعها على قمة افرست في جبل هملايا ، وعلو هذه القمة (٨٨٨٨) متراً . ولو رصفت بعضها جنب بعض لغطت اوربا ، ومساحتها تزيد على مليون كيلومتر مربع . وكنت قلت - كذلك - ان الكتب العربية لو بقيت لغطت اوراقها كل الكتل البرية فوق الكرة الأرضية .

وأنا أقول ابداً : نحن والتراث كمثل رجل وقف على ساحل بحر ملتطم ، فأنسته جلجلة الماء ، وتناوح الرياح ، وتدافع الأمواج ، وهدير التيار ما في أعماق البحر من لؤلؤ ودر وكنوز . والتراث - على الاهتمام الواسع القديم المستمر به - انما هو كنز مخفي يحتاج دائماً الى معرفته والتعريف به .

يكفي العربية انها حملت كلام الله ، وأدت مقاصد الرسالة . وانها حفظت كل ما خلفه الآباء ، والأجداد من علوم ومعارف وآداب وصناعات وفنون وآراء وأفكار وفلسفة ومعتقد وحكمة وعقل وهدى ودين . كما حفظت كل ماأنتجته الأمم باللسان العربي ، وما ترجمه القدامى من نتاج الأمم السبع المعروفة في تاريخ التراث خاصة .

ولولا الترجمات العربية من كتب الفلاسفة والعلماء ، لضاعت كتب العلم ، وبعثرت آثار الأقدمين . والتراث العربي هو كلمة البشر ، وتراث الانسان ، ووعاء مانطف به العالم الآدمي .

أقول : إذا كانت كتب الطب وحدها في خزانة ابن المطران - المتوفى سنة ٥٨٧ هـ - زهاء عشرة آلاف (١٠٫٠٠٠) مجلد - والتراث بعد في مطالعه - واذا كانت كتب النجوم والهندسة والفلسفة في خزانة الجرجرائي - المتوفى سنة ٢٥١ هـ - ستة آلاف وخمسمائة (٦٥٠٠) - والعلم في اواسط القرن الثالث - فان معناة هذا ان العربية استطاعت التعبير بكلماتها وألفاظها وأساليبها عن حقائق المعرفة ودقائق العلم في تلك الأيام . وهي قادرة - من قبل ومن بعد - على الوفاء باداء فنون المعرفة وموضوعات العلوم إذا وفينا نحن لها بالتعهد والحفظ ، واذا قدرناها حق قدرها .

وما أنسى لا أنسى ما قال الخليل في إحصاء المستعمل والمهمل من ألفاظ العربية . فهي عنده (١٢٫٣٠٥٫٤١٢) كلمة . وقد احتوى أحد كتب اللغة الكبار - كما قال بعض أساتذتنا الأفاضل في اواخر الاربعينات - على (٨٠٫٠٠٠) مادة تشتمل على ثلاثة ملايين (٣٫٠٠٠٫٠٠٠) كلمة . ومجال القوة في اللغة ذو سعة . وهي بحر زاخر حافل بما يعجز اللسان عن استيعاب مادته ، واحصاء عناصره من الخصائص ، وهي مزيّة هذا اللسان الكريم القديم .

ابارك لأخي الفاضل الكريم المتطبب الحكيم ، نقيب الأطباء الدكتور راجي التكريتي في عمله وجهده الكبير ، وأهنئه وأحييه داعياً له بالعطاء المستمر غير منقطع إن شاء الله ، والله ولي التوفيق .

الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ
عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
استاذ الدراسات الشرقية
في كلية اللغات
بجامعة بغداد
١٩٩٠/٤/١٥

تمهيـــد

ان لغة الشعوب والأمم هي الصوت الناطق تاريخها وسجل حضارتها ووعاء ثقافتها ، وبنمو اللغة واتساعها تتطور الحضارة وتتفوق في العلم والمعرفة وتسير في طريق التقدم والازدهار . وقد ازدهرت اللغة العربية وتطورت في سنوات العصر العلمي الذهبي لأمتنا العربية بازدهار العلوم والفنون والفلسفة والفلك والآداب . ومن ثم ذهب العالم العربي بسبات طويل ونوم عميق بعد أن اناخت فوقه قوى الظلم والقهر واسدلت فوق سمائه دياجير الجهل والكسل . ونامت اللغة هي الاخرى . واصيب المجتمع العربي بالوقر والخرس والعقم الحضاري ، وسرت علامات الوهن والضعف تدب في اوصاله فتبلدت العقول وانعقلت المفاصل وتعطلت الحركة والقول والتعبير .. وطمع فيها كل طامع وغزتها القوات العسكرية من شرقها وغربها وقبل هذا تسللت اليها الأفكار الدخيلة والثقافات المدمرة والقصص الخرافية والهاء أبناء الأمة بما جعلهم لا يدركون يومهم من غدهم وليلهم من نهارهم .. وشمل الغزو الأجنبي لغة الأمة والمعبر عن فكرها وثقافتها وأدبها وعلومها على بساطتها ، فانتشرت الكلمات الدخيلة والمفردات الأعجمية – التي غدت تنخر بتراثها وتشكك بأدبها وفلسفتها وتاريخها – ولم يكتف المستعمرون الحاقدون بهذا القدر من التدخل والتغلغل واذا بهم يعدون العدّة ويشحذون هممهم ويجمعون اسلحتهم وقد اشتطّ بهم الخيال وذهب الأحلام بهم لقتل فكر الأمة ومسح تاريخها بالاجهاز الكامل على اللغة العربية ، حيث صدق حدسهم . يتعذر دوام السيطرة والقهر لهذه الأمة من غير سحق لغتها كاملًا والقضاء المبرم على اللسان المعبر وعنوان وحدتها وتأريخها وتراثها وامتداد حاضرها وتطلعات مستقبلها ، وهكذا انشب الفرنسيون مخالبهم في الجناح الغربي لعالمنا العربي – ولا تزال اللغة العربية هناك في دور الأنين والشكوى وهي تصارع اللغة الدخيلة التي امتدت في مفاصل الحياة العامة والخاصة والعلم والثقافة . حيث نهض المخلصون من شباب هذه الأمة وشيوخها وعلمائها ، وقد ادركوا عن وعي وايمان صادقين بأن في القضاء على اللغة العربية قضاء على كيان هذه الأمة وتراثها وماضيها وحاضرها ومصيرها . ولما تزل تتواجد بعض الأصوات في شرق عالمنا العربي وغربه ممن اهتزت شخصياتهم

واضطرب فكرهم ووهن احساسهم القومي والوطني ان لم أقل قد اندثرت تلك المشاعر والاحاسيس الوطنية والانتماء للأمة ، متخذين بعض المسوغات الضعيفة والأسباب الواهنة ، زاعمين عن سلامة نية وبراءة طوية أو عن خبث مقصد ومكر مبطن بأن اللغة العربية تضيق عن احتواء واستيعاب مفردات العلوم والفنون والطب الحديث والمكتشفات المتسارعة . وهذا البعض ينكر معرفته أو جهله بسعة اللغة وتشعباتها وفي هذا مجافاة للحقيقة واخفاء للمأرب والأغراض الاخرى . ولا يتطلب من العالم والمكتشف والطبيب أن يلم بكل المصطلحات وجميع المفردات وانما اللغة هي واسطة للتعبير والتخاطب والتفاهم ولا ضير في الكتابة والترجمة أن تعرض المؤلفات والبحوث والمقالات المنقولة ليصلحها ويضبط كلماتها وحواشيها ويقوم تعابيرها علماء اللغة . وهذا ما فعله العلماء العرب في بداية النهضة العلمية وكذا يطبقه علماء الغرب في وقتنا الحاضر .

فقد مارس ذلك علماء العرب في بداية النهضة العلمية الاسلامية حيث نشطت حركة الكتابة والتأليف والترجمة والنقل . فمن حباه الله العلم واللغة فقد اجاد في هذا وذاك ، ولكن قد احتاج البعض الى رأي واستشارة علماء اللغة . وهكذا استطاعت اللغة العربية في استيعاب علوم وثقافات اليونان والهند والرومان والسريان والفرس ...

وفي اللغة العربية مفردات كثيرة ومعانٍ لا تحصى اذا سبرنا غورها وتخيرنا اسماءها واذا ما تعذر علينا ذلك فما الضير من أن يكون هناك تنسيق مع علماء اللغة والأدب وهم يتبحرون أكثر من العلماء في ركوب موجات اللغة ويجيدون الغوص في أعماقها لاخراج مكنوناتها - فهناك في اللغة العربية الاشتقاق وهناك النحت والتركيب والتعريب ، ومن ثم لماذا لا تطلق المسميات الحديثة وادخالها الى اللغة العربية معتمدين في ذلك من صفات العقار أو الجهاز أو عمله ووظيفته ، وبعد فترة طالت أو قصرت من الاستعمال تغدو شائعة ومستساغة . واذا ما تعذر كل هذا فما الضير ان نعرب اسم الجهاز والآلة ونكتبها بحروف عربية بعد تبسيطها فالضرورات تبيح المحظورات على شرط ان لا نستسهل السهل ونذير ظهورنا للغتنا ونتسابق في ادخال الكلمات الاعجمية كيفما اتفق وحسب أهواء الأفراد . فالعرب كانت تسمي محل ايواء المرضى الميرستان أو البيمارستان - وهي فارسية الأصل متكونة من كلمتين

- بيمار - مريض ، - ستان - محل وفي المغرب العربي أطلقوا عليه - المريض - . ولا زلنا في بعض كلماتنا ومحاضراتنا نتداول تلك الألفاظ . وحلّت الآن كلمة « مستشفى » وهي كلمة عربية اشتقت من كلمة الشفاء .

ونقول مُتحفاً للمحل الذي تجمع فيه التُحف . واتخذ الهاتف مجازاً من الهاتف وهو الذي ينادي من صوت بعيد غير مرئي - كما جاء على لسان مجنون ليلى [من الهاتف الداعي] و - شميندفر - وحتماً لا يدرك الكثير المقصود من هذه الكلمة الغربية الى أن حلت محلها الكلمة الصحيحة - القطار - والقطار مأخوذة مجازاً من قطار الابل المشدودة الواحدة بالاخرى وتسير مقطورة .

والسيارة أطلقها العرب على القافلة الصغيرة وفي الآية الكريمة « يلتقطه بعض السيارة »[1]. ومن ثم النحت وهو شائع في الوقت الحاضر وذلك ان تختزل الكلمات وكما يقال : « أوراسيا » بدلًا عن اوربا واسيا . وبسملة للتعبير عن بسم الله الرحمن الرحيم . وبنحارث لتدل على « بني حارث » . ومن ثم وكما اثرت اذا ما تعذرت الأساليب وتعرقلت السبل فلا ضير من ادخال كلمات لا مجال لتغيير مسمياتها بأسمائها الأجنبية ونقول عريت ، وفي اللغة العربية الشيء الكثير من الكلمات الهندية والاغريقية والسريانية والحبشية ، ولكن علينا ألّا نأخذ الكلمات على عواهنها وننقل « مؤتمر الببلوغرافيين العرب » . في حين توجد بدائل أسهل وأصح وأسلم كأن نقول مؤتمر الوثائقيين العرب - أو المسجلين العرب - ، أو مؤتمر المايكربيولوجيين - في حين أسهل وأصوب أن نقول - الأحياء المجهرية وهكذا .

واللغة العربية هي الاخرى قد دخلت وبشكل كبير في الانجليزية والألمانية والفرنسية والتركية واليوغسلافية والروسية والفارسية . فالتعريب بمفهومه الخاصِ ضروري في العلوم ولا خوف على اللغة من دخول كلمات ومسميات كهذه . فاللغة تنمو بهذه المسميات وتعتمد في رسوخها وثباتها في معانيها وقواعدها وبيانها وشعرها ونثرها .

وكتب العلوم ومنذ أقدم الأزمنة ككتب الطب والهندسة والفلك والرياضيات والجغرافيا والفلسفة تزخر بالمفردات الأعجمية وهي ظاهرة

---

(١) الآية - ١٠ - من سورة يوسف .

شائعة ومعترف بها في كل لغات العالم . ان الصعوبات المحتملة والمعاضل المثارة قد تظهر ابتداءً عند اختيار الأسماء « المصطلحات » ، أما بعد ذلك ومع مواصلة الاستعمال فتغدو سهلة ، وقاعدة متعارف عليها ..

واللغة العربية أقرب الى أصل المسميات . فمن المتعارف عليه أن اصل اللغات انما هي من الأصوات المسموعة ، وحوّرها الانسان الأول .. كهبوب الهواء ، ودوي الريح وخرير الماء ونهيق الحمار ونعيق الغراب ونقيق الضفادع وصهيل الخيل وهديل الحمام وزقزقة العصافير ... ونحو ذلك ، ومن ثم تولدت باقي الكلمات ونمت وتطورت مع مرور الزمان ..

وكلما كثر استعمال اللغة ونمت وترعرعت أخذت في الاتساع والنمو والازدهار لتسد الحاجة المتزايدة لها وكما عبر عنها « تقارب الألفاظ لتقارب المعاني » .

وقال ابن جني : « غور هذا من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به وأكثر كلام العرب عليه »[٢].

وباتساع دائرة المعارف والعلوم – كَثُرَتْ اختصاصاتها وتشعبت فروعها وتعددت مصطلحاتها واسماؤها حيث تجاوزت الملايين – ولا سيما في دوائر العلوم الطبية – حيث اسماء الأمراض وأسماء الأجهزة والمعدات ومفردات الأدوية وبخاصة وقد سبقتنا الدول الاخرى في البحث والتصنيع والاختراع والاكتشاف واطلاق المسميات ووضعها بلغاتها الأصلية أو تضعها معتمدة على الكلمات الاغريقية أو اللاتينية .

ونشطت المجامع اللغوية العربية والاتحادات المهنية ومكاتب الثقافة والعلوم والمنظمات والجمعيات العلمية لاصدار المصطلحات والقواميس والمعاجم التي تسهل عملية تعريب العلوم . وربما يأتي في المقدمة – معجم المهندسين الموحد الذي أصدره اتحاد المهندسين العرب والذي يقع في اثني عشر جزءاً . وهو يوحد معاني الكلمات العربية وما يقابلها باللغتين الانجليزية والفرنسية . والمعجم الطبي الموحد الذي نهض به اتحاد الأطباء العرب ، ومعجم المصطلحات العسكرية ، ومجلة اللسان العربي التي تصدر عن المركز القومي لتعريب العلوم . وكذا أصدرت المجامع اللغوية في العواصم العربية

---

(٢) د. أحمد بن عيسى – التهذيب في اصول التعريب ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ ، ١٩٢٣ م ، ص ١١ .

الكثير من الدراسات والمصطلحات التي تساعد في عملية التعريب . ومع كل هذه الاصدارات والقواميس والمعاجم فعلينا أن نبدأ في عملية التعريب ، فاذا لم تسارع في التطبيق العلمي لتعريب تدريس العلوم الطبية الآن فقد تعرقل مسيرتها في المستقبل وتنشر مسميات ومصطلحات متباينة في الأقطار العربية ، حيث الاحظ الآن الكثير من الاجتهادات الفردية في تعريب الكلمات وبخاصة الاجهزة واسماء الأمراض ، فما ثبتته كلية طب بغداد نجده قد يخالف ما اسمته لجان مستشفى الرشيد أو كلية طب جامعة الموصل - فكيف الحال اذن اذا ذهبنا الى دمشق والقاهرة والجزائر والرباط والخرطوم . فاذا لم توجد تسمية المصطلحات الان سنجد انفسنا نحتاج الى قواميس ومعاجم لتنقل معاني الكلمات العربية بين الأقطار العربية .

يضاف الى ذلك ما سبق وان قلناه في اعادة بعث التراث العربي الاسلامي ففيه الدليل لاسلوب الأقدمين في النقل والتعريب وفيه تسهيل لعملية التعريب لما تحويه كتب الأقدمين من مسميات دقيقة ومصطلحات كثيرة ومفردات غنية في العلوم .

كما توجد الكثير من الأشعار والكتب التي الّفت وترجمت لتناقش المصطلحات العربية ولا بد من اعادة تحقيقها وطبعها ونشرها ، كالفهرست لابن النديم ، - والمعرب - للجواليقي ومفاتيح العلوم للخوارزمي وشفاء العليل للخفاجي وغيرها كثير . وكتب الطب القديمة ومعاجمها غنية بالمفردات الطبية التي نستعملها الآن وهي شائعة بشكل كبير - كالشقيقة والصداع . وكما عبّر عنترة بن شداد وهو فارس مقاتل وليس طبيباً :

« وسيفي كان في الهيجا طبيباً
يداوي كل من يشكو الصداعا »
« يقول لك الطبيب دواك عندي
اذا ما جس كفك والذراعا »

وكذا الكلمات - ذات الرئة - والدق والرعاف والدوار والفالج واللقوه والرثية والهيضة والطاعون وعرق النسا والنقرس والدوالي والوذمة والاستسقاء والصلب والفقار . وفي هذا وذاك تسهيل لعملية التعريب واغناء الباحث أو الكاتب أو المدرس بالمسميات والمصطلحات والمفردات التي تسهل عليه اداء عملية التدريس أو الشرح لطلابه أو الكتابة باللغة العربية ، ومن ثم الاسترشاد

بأساليبهم التي أخضعتها التجربة ومحاكاة السنين للفحص والاختبار، فأثبتت صحتها ورسوخها وفاعليتها .

ومن ثم لا خير من دراسة تجارب الشعوب والأمم التي تدرس الطب بلغاتها القومية وتستطيع أن تقول ان ذلك مطبق لدى أغلب دول العالم والافادة من تجاربها وكيفية تذليل المصاعب والمشاكل التي برزت لديهم . فالعلم أخذ وعطاء ويمكن الأخذ والافادة من تجارب تلك الأمم التي سبقتنا واثبتت جدارة في تدريس العلوم بلغاتها الخاصة .

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

تعريب الطب ..
تعريب الطب - متى يكون ؟

أسأل نفسي كثيراً ، وأنا أخلد للتفكير واقلب الموضوع من جوانب شتى ، وأغور في اعماق المشكلة . حيث خلق المعارضون منها مشكلة احاطوها بكل أسيجة الرهاب والخوف والفشل وهبوط المستوى العلمي و ... و ... .

واناقش مع نفسي مشاكل التعريب التي قد تصادفنا فعلًا أو تلك التي قد تفتعل وأطرح كثيراً - الاسئلة - المتلاحقة . هل اؤمن فعلًا بتعريب الطب ؟ وتعريب العلوم بصورة عامة ؟ وما المعضلات والمشاكل التي تواجه عمليات التعريب هذه ؟ الحقيقة منها والمفتعلة ، الواقعية منها والموضوعية .

« ومن ثم من حقنا أن نتساءل : لماذا استطاع العرب الأوائل أن ينهضوا بذلك الواجب الكبير والمسؤولية الجسيمة ؟ في وقت لم تكن فيه مطابع ولا أجهزة استنساخ ولا أجهزة تصوير ولا مصانع للورق ولا تلفاز ولا مذياع ولا وسائل الكتابة والترجمة والاتصالات الحديثة ولا يملكون قاعدة راسخة من الكتب والمصطلحات القديمة ، التي تكون الأسس الرصينة لأعمالهم وانطلاقهم العلمي والثقافي والحضاري ... »[1].

كانوا يملكون همماً عالية ونظرة علمية رصينة وغيرة وطنية صادقة واحساساً عالياً بالمسؤولية القومية ، وصدقاً مع الذات ومع المسؤولين ومع العلم ونظرة الأجيال القادمة .. وهكذا نهضوا بتلك المهام الجسام على الوجه الأكمل وخلّفوا تراثاً عربياً اسلامياً يعتبر أكبر انجاز حضاري خلفته الشعوب والحضارات القديمة ، بالرغم مما اصابه من تلف متعمد وغير متعمد وجاءت وجارت ظروف الطبيعة القاسية على الكثير من التراث الثقافي العربي . ومع هذا فلا يزال التراث العلمي العربي يملأ مكاتب الدنيا ومخازنها ومتاحفها في شرق العالم وغربه على حد سواء ...

---

(١) نشر هذا المقال في المجلة الطبية العراقية - نقابة الاطباء / العدد الاول ، ١٩٧٥ ، ص ٣ .

ومن حقي اسأل نفسي واسأل الآخرين المعارضين لعملية التعريب : لو اقتصرت الثقافة والعلوم على اللغات العلمية السائدة آنذاك ، الهندية والسريانية واليونانية والفارسية .. فأين سيكون موقعنا نحن العرب في التأريخ العلمي ومسيرة الحضارة الانسانية ؟

وسؤال آخر اطرحه أيضاً :

لو اقتصرت العلوم الطبية على ابن ماسويه ، وحنين بن اسحاق وثابت بن قرة ، ويحيى بن عدي والقلة القليلة التي اتيح لها تعلم لغات أجنبية غير العربية وكان تدريسهم بتلك اللغات أيضاً ، فما الذي اضافوه للتأريخ العربي ، وللعلوم العربية . وكم هو عدد الأطباء الذين تعلموا ودرسوا وعالجوا المئات والآلاف والملايين من ابناء الأمة العربية على امتداد رقعتها الشاسعة .

كيف كان الحال لو لم يتم انشاء بيت الحكمة في بغداد ، ومن ثم دور العلم والترجمة في القاهرة ودمشق والقيروان وقرطبة وغرناطة حيث تنافست تلك المراكز العلمية وتسابق العلماء هنا وهناك لنقل العلوم اليونانية والرومانية والسريانية والهندية والفارسية الى العربية .. ومن ثم بعد حركة النقل تلك ، بدأت مرحلة التأليف والبحث العلمي والعطاء الفكري والبناء الحضاري ، تشمل جميع المعارف والعلوم في وقتها - الطب - الفلسفة - الهندسة - الرياضيات - الفلك - الكيمياء وعلم الاجتماع والتأريخ والجغرافيا ومرة اخرى أثير التساؤل : لو ان عملية المعرفة والثقافة اقتصرت على اولئك الذين يعرفون اللغة اليونانية أو حتى السريانية ، لما تجاوز عدد هؤلاء العلماء على عدد أصابع اليد أو اليدين في أحسن الأحوال ، ولحرمت العشرات بل المئات والآلاف من الاطلاع والتبحر بتلك العلوم ومن ثم اتيح لها أن تسهم في بناء الحضارة العربية الاسلامية وليعم اشعاعها الثقافي ارجاء العالم . وليس هذا فحسب وانما لأضيف ما كتبه وألفه الأطباء العرب الى التراث اليوناني والهندي والسرياني ولتحجمت اللغة العربية ولم تتطور .

وهكذا تقودني تلك التساؤلات الى أسئلة اخرى ، أبعد عمقاً وأشد غوراً ليذهب الى داخل كياني ، وكيان امتي ولغتي العربية ؟ لأجد نفسي متسائلاً : هل اؤمن بذاتي ؟ بكرامتي ؟ بوطني ؟ بأمتي ؟ بلغتي العربية ؟ ولساني ؟

ولسان ابناء بلدتي ؟ وهل يحق لنا الحياة ؟ هل يحق لنا مشاركة الانسانية مسيرتها في ركب الحضارة ؟

اعتقد ان الاجابة على جميع تلك الاسئلة من السهولة بمكان ، بل أقرب ما تكون الى البديهة . ويتسابق الجميع للاجابة بنعم على تلك الاسئلة ويتزايدون لاظهار الحماس والانفعال لها . ولكن لا بد لمن آمن بهذه المعطيات المصيرية للأمة وللغة - فلا داعي لأن يسأل المرء نفسه ان كان مؤمناً بتعريب العلوم أم لا لأنها تغدو بديهية واضحة لا تحتاج الى برهان أو حتى اجابة على تلك الاسئلة !!

ان أقسى اهانة توجه الى لغتنا العربية هي كثرة المؤتمرات التي تعقد هنا وهناك لتناقش وتعقّد وتشكك في مقدرة اللغة العربية في مسايرة اللغات الاخرى وامكانها احتواء العلوم الحديثة بأسمائها ومصطلحاتها و ... . والأدهى والأمر ان يشارك الشعوبيون والحاقدون والمندسون ليشهروا سيوفهم وتعلو أصواتهم مؤيدة تمويهاً مرة ومعرقلة وممانعة مرات ومرات . وكلما أرجأنا الموضوع وأخرنا التطبيق وعرقلنا وضع الخطوة الأولى ، ونظرنا الى شبح الألف ميل التي تمتد أمامنا ، اعترانا الوهن وارتجفت قلوبنا هلعاً وتصديقاً لكلام البغاة واضطرب تفكيرنا واعترى السراب والضباب ادمغتنا وازدادت الفجوة عمقاً واتساعاً والمسافة بعداً .

ومن ثم !! لماذا أصبحت اللغة العربية ونهضت بهذه المهمة قبل ألف عام وتعجز الآن عن مسايرة الركب ؟ ولماذا أصبحت لغات أقل مفردات وأقل تداولًا داخل عدد الناطقين والكاتبين بكلماتها ولا تأريخ يدعمها ولا تراث يسندها ، كاللغات السويدية والفنلندية والتركية واليوغسلافية والبلغارية والدنماركية واليهودية و... و... و... .

وتعجز اللغة العربية مع ما هي عليه من تراث زاخر ومفردات اغنى من تحيط بها المعاجم والقواميس وأكثر من تحويها المخلدات ، ويتكلم بها ما يزيد على المائتي مليون متكلم .. وقد انتشرت كليات طب في كل الحواضر العربية ! اعتقد ان العجز يكمن في الابناء وليس في اللغة العربية ذاتها .

أهم عائق لتعريب العلوم وفي مقدمتها تعريب الطب هو خوفنا من انفسنا . فاذا تجاوزنا عقدة الخوف هذه فان كل شيء يسهل ويبسط والعائق

الثاني . الأصابع الاخرى ، مهما كان مصدرها وهدفها التي تحاول أن تطمس معالم هذه الأمة ومسح حضارتها وهد كيانها بالقضاء على لغة الأمة أولاً ، وزعزعة الثقة بين ابناء الأمة . وانه لأشد خطراً على الانسان أن تفصل بين روحه وجسده ، بين عقله وأجهزته الفاعلة . واللغة هي واسطة التعبير عن فكر وعقل هذه الأمة فاذا قضي عليها قضي على هذه الأمة ..

وما قاله المؤرخ « كارلاليل » في العرب « قوم يضربون في الصحراء ، كانوا نكرة عدّة قرون . فلما جاء النبي العربي أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعارف وكثروا به وعزوا ولم يأت عليهم قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم »[٢]. انه لشيء جميل أن تظهر الحقيقة ليرددها مؤرخون غرباء ويحاول أن يشكك بها ابناء هذه الأمة ، فان العرب قد اكرموا وعزوا بمجيء الاسلام وحامل رسالتها النبي محمد « ﷺ » الذي جاء هادياً ومنيراً ومبشراً ونذيراً وداعية من دعاة الثقافة والعلم . والذي نريد أن يدركه الغرب أيضاً بأن الاكتشافات الحديثة والحفريات الآثارية قد أظهرت بأن كان للعرب حضارة وتأريخ وعلوم تمتد بعيداً في عمق التاريخ .

وكان العالم الايطالي « لويجي رينالندي » أكثر انصافاً وتفهماً وعدلاً في اعطاء العرب حقهم بعد أن خاض في عمل المسلمين في ايطاليا واسبانيا فيقول : « فأمة هذه مدنيتها وتلك آثارها ومفاخرها جدير بنا بل واجب علينا أن نحفظ لها تلك اليد التي قدمت الينا وأسلفتها لنا ولست أدري لماذا لا نسمع كلمة اعجاب بالشعب العربي العظيم الذي ترك في ظروف المدنية آثاراً عديدة ، والذي حمل معه أعظم المعاونات وأجلّ الخدمات للنوع الانساني ولا يبخل على العرب باعطائهم المقام اللائق بهم بانزالهم المنزلة التي استحقوها إلّا كل جاهل بالتأريخ »[٣].

يأتي هذا الاعتراف المنصف والقول المنطقي والشهادة العادلة لتعطي العرب حقهم في التأريخ والحضارة الانسانية ، فكيف سيكون هذا الاعتراف والاقرار بالحقيقة لو لم تحمل اللغة العربية ذلك التراث العلمي الثر الذي اضاء سماء العالم بنوره واشعاعه الفكري والحضاري .

---

(٢) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ص ٥٤ .

(٣) محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، ص ٥٥ .

واذا ذهبنا أبعد عمقاً في التأريخ واستنطقنا حوادثه ومجرياته لوجدنا بأنه قد قامت في العصور القديمة دول كثيرة في شبه الجزيرة العربية أطرافها ، قد تكون أقدمها وحسب ما اكتشف ودرس لحد الآن ، دولة العبيد في العراق ودولة العماليق في اواسط الجزيرة العربية ومنها تشعبت دولة الساموابيين في بابل وأشهر ملوكها حمورابي ، فهو عربي . وأنشأ دولة متحضرة متقدمة في آدابها وعلومها ولم يغفل في شريعته ، وهي أول شريعة منتظمة متكاملة سجلها التأريخ القديم ، أن يذكر عمل الجراحين ويحدد مسؤولياتهم وواجباتهم واجورهم بصورة دقيقة ومتكاملة .

وقبله كان الملك العظيم سرجون ، ملك الأكديين وهي قبائل سامية نزحت من وسط الجزيرة العربية وبسط نفوذه من شواطىء البحر الأبيض المتوسط وحتى شواطىء الخليج العربي وامتداداً الى جبال امانوس وطوروس ، وأقام مدنية وحضارة ، ومنهم عرب الشرق في مصر – دولة الرعاة – « الهكسوس » دخلوا مصر قبل المسيح بثلاثة وعشرين قرناً ونقلوا معهم حضارة العرب الى أرض مصر حيث تفاعلت وامتزجت مع حضارة مصر القديمة ، ودولة عاد الأولى في الاحقاف بين اليمن وعمان ، والمعينيين في سهول حضرموت ودولة ثموت في اليمن حيث تركت خلفها العاديات والفواديس شاهده على مدنيتها . ودولة سبأ الأولى ودولة سبأ الثانية وهي مملكة حمير ودولة طسم وجديس ودولة كندة التي هي من كهلان ، ودولة آشور قبل ذلك في شمال العراق ودولة الأنباط في سلع ودولة اكسيوم في الأرض المقابلة لليمن ودولة تدمر التي أسسها العرب ودولة الاثيوريين التي استولت على اللبنانين الشرقي والغربي وجعلت عاصمة لها مدينة « عنجر » عين جر ، ومن ثم طرابلس العاصمة الثانية كان أصلهم عرباً من الجيدور وحوران ولا تزال آثار الحضر شاهداً حياً تعلمنا عن المنزلة الحضارية التي بلغتها ... ومن ثم قبل الاسلام دولة المناذرة في جنوب العراق والغساسنة في شماله الغربي وسوريا التي جاءت مهاجرة بعد انهيار سد مأرب . وجميع هذه الدول كانت تغلب عليها العربية أو احدى تشعباتها وفروعها أو لهجاتها المتفرعة عنها ، وقد يكون الفرق بين هذه اللهجة أو تلك أشبه بالفرق بين لهجة المغرب والجزائر والعراق والصومال والسودان ومصر والسعودية . فأمة هذا تاريخها وتلك امتدادات جذورها الحضارية في عمق تأريخ الانسانية ومتلاحمة مع الحياة منذ أن

وجدت الحياة في وسط الجزيرة العربية ولغتها هذه التي تكلمت بها دول وحضارات وأمم نهضت واخرى بادت ، ولكن بقيت اللغة العربية شامخة متحدية عوادي الزمن وتقلبات الاحداث وحقد الطغاة والغزاة لتكون اللسان المعبر والسجل الأمين لحياة الأمم .

وينزل القرآن الكريم لساناً عربياً فصيحاً ليزيد من ترسيخها ويكثر من مفرداتها وعطائها ويحافظ على كيانها .

أهو المنطق العقلي والقول العلمي بأن تعجز هذه اللغة عن مواكبة التطور وان تستوعب المفردات العلمية على كثرتها واتساعها وتشعب مفرداتها . وقد أصبح تعريب الطب وبقية العلوم الاخرى مسؤولية وطنية وواجباً قومياً وعملاً فورياً وبديهة لا تقبل النقاش ولا بد من سحق الشك باليقين والعثرات بقلعها والصعوبات بالتطبيق العملي ، مستلهمين من مسيرة الأولين الى أصل واقعي موجود في التراث القديم الخالد لا الخيال والسراب البعيد المنال ...

في الماضي القريب - عهد خالد بن يزيد والمنصور والرشيد والمأمون - ان نبارك ونشجع ونستلهم الحاضر المعاصر - في دمشق والجزائر والأزهر - وناظرين باعجاب الى دول صغيرة كفنلندة والدنمارك والبانيا وبيرو وغيرها كثير من الدول أقل منا عدداً وامكانات علمية واقتصادية ، ولكنها تمسكت بارادتها ونجحت بالتطبيق لصدق وطنيتها واخلاصها لقضيتها . ونحن بوصفنا عرباً وأمة واحدة وكليات كثيرة وجامعات متعددة ، ولكن لا بد من تجاوز عقدة الوهن والضعف والخوف .

مرت بنا فترات مظلمة منذ أن سقطت بغداد وربما قبل ذلك بعقود أو قرون من السنين العجاف حيث بدأ الوهن يتسلل الى أوصال الدولة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والعلمي ... ومن ثم تمر بدور سبات هو الآخر قد أناخ بثقل كابوسه لعدد آخر من قرون مظلمة ... وبعد هذه السنوات الطوال تمر امتنا العربية بفترات مظلمة اخرى ، الاحتلال الفرنسي في المغرب العربي والايطالي في ليبيا ، والانجليز يشمل العراق والسعودية والخليج العربي ... وبعد أن تحررنا من السيطرة السياسية والى حد ما الاقتصادية من تكبيل الاستعمار ولكننا لما نزل نرفل بكبل قيود اللغات - الفرنسية هناك والانجليزية هنا وهناك - كمرحلة مفروضة علينا ، ومن ثم بها قد أصبحت

عادة نتمسك بها وهاجساً مخيفاً نخشى الانعتاق منه والاستغناء عنه .

لقد كان استعمال اللغات الانجليزية والفرنسية والايطالية في استعمال المؤسسات والدوائر ومن ثم التدريس جانباً من ظاهرة التبعية الحضارية والتقليد الأعمى من قبل المغلوب تجاه الغالب ، من المستضعف أمام القوي ، من الجاهل الذي بهرته المدنية الحديثة فتركته في حيرة من أمره ، مسلوب التفكير والارادة ليرسم طريق مستقبله باستقلالية عن هيمنة وتوجيه القوى الخفية ولو من وراء ستار .

وان فهمنا لهذه الحقائق هي بداية الطريق للتخلص بالتدريج من احتواء المدنية الغربية لنا والبدء في البحث ووضع الكتب العلمية اللازمة باللغة العربية .

واللغة العربية - وبخاصة اللغة العلمية ليست صعبة كما يُظن ويُعتقد . وان صعوبتها الظاهرة عند البعض منا - كثر هذا البعض أو قل مبعثهُ ، ضعف المعلومات الأساسية وقلة الخبرة وضعف التدريس وكثرة استعمال اللهجات العامية والتعود على الدرس والتدريس باللغات الأجنبية .

ولذا فلا بد من اعادة النظر في مناهج اللغة العربية في الابتدائية والثانوية والجامعات والصحف والاذاعة والتلفاز .

اللغة العربية واسعة في مفرداتها لينة سهلة طائعة في التصريف والنحت والتركيب والاشتقاق . جميلة في الوصف والتعبير ، دقيقة في المعنى مؤثرة في التخاطب ، فيها ايجاز الألفاظ في التعبير لمن اراد الايجاز واسعة في المعاني ، زاخرة في المفردات لمن اراد التوسع والاسترسال في الحديث والأطناب في الكلام .

—

تجـربة
نـمت واجهضت

اذا ما تجاوزنا التجربة الاسلامية الأولى في نقل العلوم وكيف بدأ تدريس الطب باللغة العربية في بداية النهضة الاسلامية والتي سنتحدث عنها في فصل آخر ، ونبدأ الحديث عن اولى تجارب تدريس الطب باللغة العربية خلال بداية النهضة الحديثة للأمة العربية في آواخر القرن الماضي « التاسع عشر » وبداية القرن العشرين ، لقد تم ذلك في القاهرة ، في مصر سنة ١٨٢٧ م عندما انشئت أول مدرسة طب في الوطن العربي كان ذلك في منطقة أبي زعبل وبجانب المستشفى العسكري في القاهرة ويذكر الذين ارخوا لتلك الحقبة بأن بداية التجربة والتأسيس لم تسلم من المشاكل والصعوبات ومع ما اكتنف افتتاح الكلية من معضلات متمثلة ابتداءً بالاساتذة الذين كانوا من جنسيات مختلفة فرنسيين وايطاليين لا يعرفون العربية والطلاب لا يعرفون اللغتين الفرنسية أو الايطالية . ومع هذا ذللت الصعوبات وذلك بالاستعانة بالمترجمين من جانب ومدرسين سوريين من جانب آخر ومن ثم الابتداء بترجمة الكتب الى العربية وبعدها التأليف . حيث سارت الأمور بعدها بطريقها السليم بعد أن تذللت كل العقبات واستمر التطور والنمو الى سنة ١٨٨٧ م عندما أخذ النفوذ الانجليزي يتغلغل في المرافق الرئيسة للدولة والسيطرة والنفوذ يأخذ مجراه الى الأرض العربية السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية ، وأقنعت الحكام الى تحويل التعليم في تلك الكلية من العربية الى الانجليزية .

وخلال هذه الفترة تأسست الكلية السورية في بيروت - الجامعة الامريكية سنة ١٨٦٦م ، وكانت العربية لغة التدريس في جميع الأقسام بما في ذلك الطب والصيدلة . واستمر الحال حتى عام ١٨٨٢م حينما تدخلت السياسة ونقل الأطباء الاميركان الذين يتقنون العربية وحل محلهم أطباء اميركيون لا يحسنون العربية ، واستحدثت أزمة مفتعلة ومخطط لها . وكان حل الأزمة على حساب اللغة العربية حيث استبعدت العربية من لغة التدريس في كلية الطب وحلت محلها اللغة الانجليزية .

وفي دمشق افتتح معهد طبي سنة ١٩١٩م تحول بعدها الى كلية طبية تدرس باللغة العربية العلوم الطبية كافة . وقد خطت خطوات كبيرة في ارساء التدريس باللغة الوطنية واعتمدت المعاجم والقواميس القديمة كما شكلت الكثير من اللجان التي نهضت بالمهام المناطة بها في وضع المصطلحات وتأليف الكتب وترجمة الكثير من الكتب الاخرى . واستمرت التجربة تسير بنجاح وموفقية وبكل تأكيد تصلح أن تكون قاعدة ثابتة وتجربة ناجحة في تدريس العلوم الطبية باللغة العربية وبخاصة اذا تضافرت الجهود في كليات الطب الاخرى في الوطن العربي .

وتم في السنوات الأخيرة فتح كليتين احداهما في حلب والاخرى في اللاذقية ويدرس فيهما الطب باللغة العربية . وبهذا يمكن اعتبار هذه الكيات الثلاث خبرة مضافة الى عملية اغناء معدّة لتسهيل عملية التعريب في الوطن العربي ، وبخاصة ما تم وضعه من مصطلحات طبية كان الاعتماد فيها على ما جاء في كتب التراث من مصطلحات صائبة ومن ثم عززت بالكتب التي وضعت في القاهرة وبيروت وواصلت الكليات الطبية السورية حيث وضعت معجماً يضم مصطلحات كثيرة تسهل عملية التدريس والتأليف باللغة العربية ، ومن ثم وبعد سنة ١٩٦٦م ظهر المعجم الطبي الموحد . وقد طبع ثانية وثالثة آخرها سنة ١٩٨٣ م وبلغات ثلاث العربية والفرنسية والانجليزية . والذي لقي قبولًا حسناً من الأطباء والباحثين والمترجمين والمعربين والاساتذة والطلاب على حد سواء وفي جميع الأقطار العربية ، وبخاصة وقد أسهم في وضع هذا المعجم زمرة عالمة مثقفة مهتمة ومؤمنة بعمليات تعريب العلوم الطبية في الوطن العربي . يضاف الى ذلك البداية الحسنة هنا وهناك بترجمة الكتب المقررة للتدريس الى اللغة العربية وكذلك الكتب المساعدة ، كما نهض البعض بالتأليف ابتداءً باللغة العربية ، وخطا الجامع الأزهر بكليته الطبية خطوات بناءة وذلك بالطلب مع طلاب الدراسات العليا اعداد رسالاتهم المقررة باللغة العربية وبكل تأكيد ان هذه جميعها ستكون قاعدة صلبة لعملية التعريب التي ننشدها .

يضاف الى ذلك النهج السليم الذي اخذت به بعض كليات الطب وذلك بالموافقة بأن يقوم الطلاب بترجمة كتاب طبي من لغات اخرى الى العربي عوضاً عن كتابة الاطروحة ، وهذا بدوره يشجع الطلاب على اتقان لغة اخرى

ومد جسور علمية الى اللغات الاخرى والعلوم العالمية .

ان استخدام لغات اجنبية في التخاطب أو الرسائل العلمية والتدريس بدلًا من العربية سيؤدي حتماً الى اضعاف المقومات الثقافية والفكرية والحضارية في العالم العربي . حيث لا يمكن حصر اللغة العربية بالتخاطب اليومي وتدريس العلوم الأدبية وأبعادها عن مجالات العلوم الهندسية والطبية في الوقت الذي نهضت في نقل هذه العلوم ليمتد اشعاعها الثقافي والحضاري على المستوى العالمي .

وقد استطاعت اللغة العربية عبر التاريخ الطويل أن تنهض بمهامها الوطنية والقومية وباستيعاب كل العلوم الأدبية والانسانية والفلسفية والهندسية والطبية وان تكون مناراً ووعاءً للابداع ولغة حية للحياة والفكر والمدنية .

ولكن خلال الفترة التي اظلمت الدنيا على عالمنا العربي وخيم الجهل والمرض والفقر على ربوع عالمنا العربي وبسط الأجنبي نفوذه السياسي والاقتصادي دفعته أحلامه الى الاستحواذ على مركز حياته وشل فكره الحضاري والعلمي ، واللغة هي الأداة المعبرة عن الفكر والعقل والعلم . ولذا اتجه المستعمر الى تجميد اداة التعبير تلك ، وهي اللغة ، والتشكيك بقدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم الطبية والتقنية الحديثة ، وما القصد من ذلك إلّا الاستمرار في احكام القيود على انطلاق العلوم والفكر وذلك يشل وسيلة التعبير للأمة .

وان الهدف من التعريب هو انطلاق اللغة العربية من عقالها وفك الحصار المفروض عليها لتحجيمها ، وتكمن المأساة عندما يكون ابناؤها هم الأداة لذلك الحصار والقيد ، فاللغة العربية لا بد وان تكون وسيلة للتعليم الطبي والتثقيف الفلسفي والتدريب التقني والنشاط المدني والحضاري .

وما التمزق الذي أصاب اوصال عالمنا الاسلامي الّا بعد أن تمزقت اللغة العربية وظهرت اللغات الأعجمية هنا وهناك وهكذا فقدت أصالتها الحضارية والثقافية ومن ثم تبع ذلك الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ولا نريد أن نعطي اللغة العربية أكثر مما هو مقدر لها وباستطاعتها النهوض به ، وكل ما تهدف اليه هو أن تأخذ اللغة دورها في جميع الدول العربية كأداة لتعليم العلوم بما في ذلك العلوم الطبية وباسلوب موحد وتنسيق

وتنظيم متكاملين .

انا لا أجد مسوغاً لما يثار بحسن طوية وسلامة نية أو بخبث مبطن من ان التعريب سيؤخر العلوم الطبية ويمنعها من مواكبة تطور العلوم الطبية في العالم .

لا أقول انه قول حق اريد به باطل ، وانما هي حجج واهية لتغطية أسباب مخفية أو انه الكسل والتماهل والوهن الشخصي . اسرائيل اللقيطة تدرس بلغتها العبرية وهذه اليابان التي قفزت خلال عقود من الزمن لتصبح قوة علمية وتقنية تنافس دول اوربا والاميركيتين مجتمعة ليس في مجال الطب فحسب وانما في جميع مجالات العلوم الاخرى والتقنية الحديثة ولم يعد باستطاعتهم ان يضعوا القيد مرة اخرى في عجلات تقدمها . فهل حالت اللغة اليابانية بين الشعب الياباني والتطور العلمي والتقدم التقني ؟

قميص المعارضة - المهلهل !

اذا ما أردنا مناقشة موضوع أي موضوع أو قضية من القضايا - لا بد أن نعطي الاسبقية للحاجة وضرورة الموضوع المراد بحثه ، أي أن نتكلم عن المبدأ ومن ثم التحدث عن التطبيق - ولكن للأسف الذي المسه هو طرح المصاعب والمشاكل والمعوقات الأمر الذي يخلق الوهن في الهمة واحباط عزائم القائمين فيها حتى المتحمسين قد يدخل الشك الى نفوسهم ، وهذه معضلتي الرئيسية خلال مسيرتي الادارية ، ناس لا تقبل النقاش العلمي ولا الحوار المنطقي ولا مدى الحاجة الى هذه القضية أو تلك ، وانما يطفرون الى المعجزات وكأنها قضايا مقصودة بوضع العصا بعجلة التطور وربما كان هناك قصد ونحن نجهل ذلك وهذه الآفة الكبرى . وهذا ما تتعرض له حياتنا العملية والادارية لخنق أي مبادرة أو أي اجتهاد أو أي تطلع . ومتى تطرح تجارب الاخرين وتطورهم تلاقي المعارضة والتشكيك واذا ما حصرتهم بالمنطق الحصيف والبراهين الواضحة والأدلة الثابتة والثوابت العلمية واذا بهم يرفعون شعار الضعفاء - ومالنا والاخرين - علينا بأنفسنا وتجاربنا - والويل لنا ان رفعنا ، أين هي تلك التجارب ، والعلم أصبح ملك الجميع والتقنية مشاعة لجميع الشعوب المتطلعة لغد أفضل وقد نسوا أو تناسوا القول المأثور :

« ان الحكيم من استفاد من تجاربه وتجارب الاخرين ، والعاقل من استفاد من تجاربه فقط ، أما الجاهل فهو الذي لا يستفيد لا من تجاربه ولا تجارب الآخرين » .

ومن ثم لماذا كتب علينا أن نبدأ من حيث بدأ الآخرون ولا نبدأ من حيث انتهى الآخرون ، واذا بخيرات وتجارب الآخرين هي حصيلة وقاعدة رصينة لنا للانطلاق ومناقشة ومسابقة الآخرين .

ان عملية تعريب العلوم وبخاصة تدريس الطب تلاقي من المعارضة والتشكيك وعمليات الاحباط مثالاً صارخاً لهذه القضية الحيوية في حياتنا المعاصرة ومستقبل أجيالنا وعلومنا ونراثنا ولغتنا وحضارتنا . فهذا الحصار

المضروب على اللغة العربية ومحاولة تحجيمها ووضع المصاعب بينها وبين الانطلاق والانعتاق لمواكبة التطور العلمي والتقني . وهو جزء من الصراع الحضاري الذي تخوضه الأمة العربية ، واتى متمثلًا بتقيد اللغة وفرض الحصار عليها وبذا يمكن عرقلة المسيرة العلمية والثقافية والحضارية للأمة . فاللغة هي واسطة التعبير والتسجيل والحوار العلمي والثقافي والتقني وليس فقط الخطابة والنثر والشعر . ويتخذ المعارضون لعملية التعريب شعار مستوى التعليم كبيرق مهلهل وقميص يوسف ملطخ بدم مشكوك في صحة مصدره لاخفاء الأغراض الاخرى التي يخفونها ولا يجاهرون بها وكم كان الاحترام يزيد والتقدير يكبر لهم جميعاً لو انهم صارحونا بما يضمرون لمناقشتها وطنياً وعلمياً وتقنياً . وتظهر جميع الدراسات والوقائع العلمية العالمية بأن مستوى التعليم في اللغة الأم أرسخ عمقاً وأكثر ادراكاً وأسهل هضماً من التدريس باللغات الأجنبية .

وأين هو مستوى التعليم الذي نبحث عنه ونناقش منه وعمر كلياتنا في الوطن العربي بل وجامعاتنا جاوزت نصف قرن بل وقاربت من القرن ولا يزال لا يوجد لدينا نهج ثابت واسلوب موحد ، ولما نزل نعتمد على الخطأ والصواب في مجال التطبيق ، ونكثر من عقد الندوات والاجتماعات لنناقش الألف والباء في اسلوب التعليم الجامعي ؛ ليس هذا فحسب ، وانما غدونا نكثر من الكم على حساب النوع . وكم كانت مفاجأة لي أن اعرف في هذا القطر أو ذاك يعتمد طلاب الطب على الاساتذة الخصوصيين والتدريس بالاجور خارج حرم الجامعة وخارج نطاق كليات الطب ...

فأين هو المستوى الذي نخاف عليه من الانحدار ونحافظ عليه من الهبوط والانثلام ولماذا لا تفكرنا كلياتنا وجامعاتنا بالأسباب الحقيقية ونعالجها ، في حين لا نزال نلهث في معالجة النتائج في جميع نواحي حياتنا . وأين هي تقاليد الجامعات والكليات في وطني العربي من شرقه الى غربه ، والتي نراها في جامعات العالم وكلياتها ثوابت راسخة يعتز بها وتحترم بنفس القوة والتقدير ، بل والتقديس التي تحترم بها القوانين والأنظمة . ونحن نفتقد كلياً تلك التقاليد الجامعية ونستخف بها ان وجدت ونشكك بالقوانين ونستهزىء بالنظم والتنظيم ، فهل للتعريب دخل بهذا وذاك والتعريب براء مما يشاع عن كل المفاهيم وانخفاض مستوى التعليم ، والمرحوم الحكيم فخري

الدباغ استاذ الامراض النفسية لعدد من السنين وعميد كلية طبية لسنوات اخرى تخرج في كلية طب بغداد باللغة الانجليزية وسافر ونال الاختصاص من جامعة لندن ولذا نجد لرأيه الحصيف الذي يمثل العلم والمنطق والخبرة والتجربة في هذا المجال وهو يقول : « وأول ما يتبادر الى ذهن المعارضين للأخذ بهذا المبدأ انه ينطلق من دوافع وجدانية حماسية تهدف الى ابراز التراث العربي ودعم الفكر القومي ليس الا ... وموضوع حديثي هو بيان كيف ان التعليم الجامعي باللغة القومية هو ليس بالانفعال الوجداني بل يتعلق بصميم العملية الفكرية التي تجري في الدماغ » . ويضيف : « ان التفكير الانساني يعتمد كلياً على اللغة ، اذ لا يمكن تصور عملية تفكير ، مهما كانت ذاتية صامتة ، بدون استعمال الأدوات والرموز اللغوية فتفكيرنا لغوي مهما حاولنا تقليل دور اللغة فيه » ، « فكل ما يتعلمه من جديد يستند على قاعدة من المعاني اللغوية ، أو من المعاني الرمزية المرتبطة بمدلول الكلمات والجمل ، فاللغة هي أول واسطة للاتصال بين العقول وبين افراد العائلة ومم ثم بين الاستاذ والطالب » .

« فماذا يحدث في الدماغ فسلجياً وعصبياً ونفسياً عندما يتلقى الطالب الجامعي تدريسه بلغة أجنبية ؟ » ..

« انه سيمر بعمليتين على الأقل :-

الاولى : الترجمة السريعة الخاطفة من اللغة الأجنبية الى لغته الأصلية ، أي من رمز أجنبي الى رمز أصلي .

الثانية : من الرمز الأصلي الى المعنى المجرد أو الفكرة التي تدل عليها » . ويضيف « ومهما بلغت مقدرة الطالب وسيطرته على اللغة الأجنبية فان مرحلتين في الترجمة العقلية الخاطفة وما يصادفها من احتمال السهو والخطأ سيعرض عملية التعليم الى بطء نسبي أو الى عدم الدقة في المعنى المنشود »[١].

ويكمل المرحوم الحكيم فخري :

« وهكذا فان التعليم باللغة العربية يضمن :

١ - السهولة في التعليم .

---

(١) الحكيم فخري الدباغ . تعريب التعليم الجامعي بين العلم والوجدان . مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ، ٤ - ٧ / ٣ / ١٩٧٨ .

٢ - السرعة في الفهم والاستيعاب .
٣ - الدقة في نقل المعلومات ... » .

« ومن هنا كان المبرر لعنوان حديثي بأن التعليم الجامعي باللغة القومية ليس اتجاهاً عاطفياً بل موضوعاً علمياً » . « وان الالتباس الذي حصل لدى المعارضين لعملية التعريب هو المزج بين المبدأ والتطبيق » . فالمبدأ كما بينت سليم في اعتقادي . أما صعوبات التطبيق فهي شيء آخر . فصعوبات التطبيق وتوقيت البدء هي التحدي الذي نواجهه ونتغلب عليه بالتخطيط وتكثيف الجهود وتعاون ذوي العلاقة .

« ان مقاومة عملية التعريب لديهم نابعة من دوافع شخصية بالاضافة الى الأسباب الاخرى »[٢]. وهكذا يجتمع الرأي العلمي والمنطق السليم حول ضرورة عملية تعريب العلوم الطبية لتسهيل عملية استيعاب الطالب بوقت قصير ودقة الفهم وسلامة التعبير . ولا أعتقد ان اللغة العربية وتراثها الثر عاجزة عن التحدي العملي والتطبيقي لانجاح عملية التعريب .

ان تردد البعض في الأخذ بتدريس الطب باللغة العربية يرجع الى أسباب واضحة ومفهومة . ويؤكد ذلك أيضاً الاستاذ الحكيم عزالدين شكارة استاذ الطب الباطني في جامعتي الموصل وبغداد والحاصل على الاختصاص والألقاب العلمية من جامعات لندن وأدنبرة وكلاسكو : « أن يتمكن الطبيب والطالب بالتحدث والقراءة بلغة اجنبية يجعله قادراً على متابعة ما يكتب في المجلات والكتب الأجنبية من جديد في الطب وسهولة المشاركة والمناقشة العلمية في المؤتمرات الطبية »[٣].

فهل التعريب دخل بهذا وذاك والتعريب براء مما يشاع عن انخفاض مستوى التعليم وانما العكس هو الصحيح ، فحتماً ان استيعاب الطلاب سيكون أفضل وتذكرهم أسهل للعلوم وربط الحوادث العلمية بمفردات اللغة والتداول اليومي مما يرسخ تلك الحقائق العلمية مع الحديث اليومي والتجارب المتكررة .

---

(٢) الحكيم فخري الدباغ . المصدر السابق .

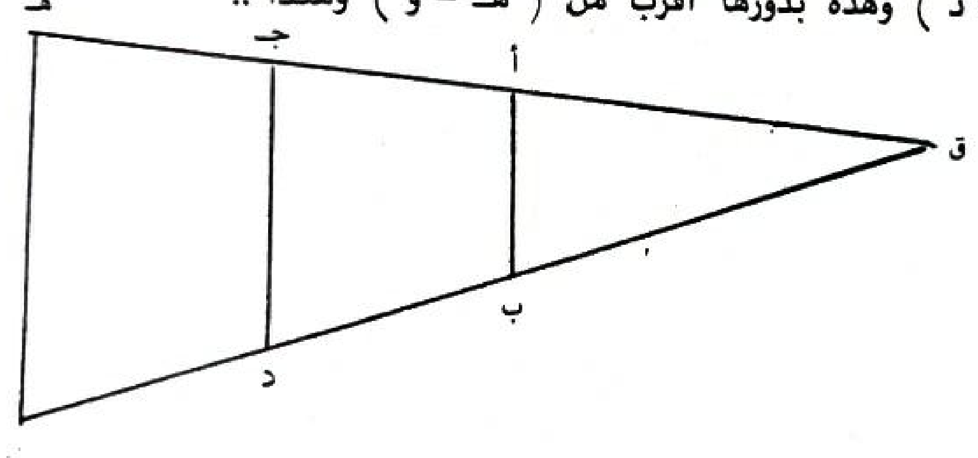
(٣) الدكتور عزالدين شكاره - تدريس الطب باللغة العربية ، آراء وخطة عمل للمناقشة . بحث ألقي في مؤتمر اتحاد الأطباء العرب (الخامس والعشرين) ، بغداد ، شباط ١٩٨٩ .

ورد آخر لا بد وأن يقال ، فان اشاعة وتطبيق تدريس العلوم الطبية باللغة العربية في جميع كليات الطب في الوطن العربي يفتح الباب على مصراعيه للغة العربية لان تدخل الى تلك المؤتمرات والحلقات الدراسية كما دخلت هيئة الامم ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الثقافة والفنون العالمية « اليونسكو » كلغة عالمية .. وترتفع اللغة العربية الى اللغة الانجليزية والفرنسية والاسبانية . ومن ثم تترجم البحوث من اللغات الاخرى الى اللغة العربية . وكما يحدث الآن وعندما نحضر مؤتمراً علمياً فاننا نسمع المحاضرات الفرنسية والاسبانية والروسية والالمانية مترجمة الى الانجليزية ويسمعها ابن المغرب العربي مترجمة الى الفرنسي .

وشيء آخر ، فقولنا بتدريس العلوم الطبية باللغة العربية لا يعني الانقطاع عن تعلم لغات اخرى وانما العكس فلا بد من لغة ثانية يتقنها طالب الطب والطبيب ومدرس الطب لمواصلة التطور والتتبع وما يجري في العالم اضافة الى ما يترجم وينقل اليه باللغة العربية .

ان المعضلة الرئيسية هي ليست هل ندرس الطب بالعربية أم لا ؟ وانما متى ؟ وكيف يمكننا تدريس الطب باللغة العربية دون المساس بالمستوى العلمي للتعليم الطبي ، وان التعريب قضية قومية . ولا بد من ان نبحث على هذا المستوى - ولكن يبرز الاشكال الذي يمكن حصره في كيفية التدريس باللغة العربية بعد كل هذه السنوات الطويلة التي امضيناها في تدريس الطب بلغة انجليزية - وكلما طالت هذه المدة صعب الرجوع الى موضع البداية ، أو الى نقاط الالتقاء .

ان نقطة الشروع (ق) هي واحدة وان (أ - ب) أقرب لقاء من (جـ - د) وهذه بدورها أقرب من (هـ - و) وهكذا ..



« ان الاسباب التي يطرحها المتحمسون لتعريب الطب مفهومة وواضحة وبديهية ، ان نفهم ما يكتب أسرع وأعمق وما يلقى والمناقشات باللغة العربية أكثر من فهمنا بلغات اخرى .. يضاف الى ذلك ان العديد من الزملاء قد درسوا بلغات روسية ، المانية ، فرنسية ، اسبانية ، يوغسلافية ، يابانية ... ويصبح من المنطق العلمي بأن تكون الأحاديث والمناقشات والكتابات بلغة يفهمها الجميع واللغة العربية هي اللغة المشتركة للجميع »[٤].

ومن ثم كم من اساتذتنا ومدرسينا كتبوا والفوا باللغات الأجنبية التي يدرسون بها بينما في الكيات والجامعات التي تعتمد اللغة العربية في التدريس قد نشطت حركة التأليف والترجمة والنقل وازدادت الخبرات العلمية والثقافة الخاصة والعامة .

واحب أن اذكّر الاخوة الاساتذة الأفاضل الذين كتبوا – وهم قلة – بلغات أجنبية أو نشروا بحوثهم ومقالاتهم بتلك اللغات فانهم يضيفون تراثاً علمياً الى علوم تلك الدول الناطقة بلغات انجليزية أو فرنسية أو المانية . واضافة ثقافة الى ثقافاتهم ويزيدون من شد رباط ووثاق عجلتنا المخلخلة الأوصال بعجلتهم الدارجة وبذا يضيفون زخماً ومحصلة لتحطيم بقايا عجلتنا التي سنعتمدها يوماً في مسيرتنا . فلا يمكن احداث تقدم أو تطور علمي أو تقني في بلد يتكلم بلغة ويفكر بلغة ويدرس ويدرّس بلغة اخرى .

ولدى البعض الاعتراض على التدريس – ليس للعلوم الطبية فقط وربما لجميع العلوم باللغة العربية لهواجس لا شعورية وخصومة غير مبررة عند البعض مرده الى خوف من التجربة أو جهل باللغة أو ربما كان مرد ذلك الى الترفع والأنانية لديهم ، وعلى جانب آخر يذهب البعض ممن يؤدون التدريس باللغة العربية يحجب العامل النفسي المتأصل في اعماق نفوسهم ومصدره حب الوطن واللغة والقومية والتمسك بها ، ويتجاوز البعض ذلك ولا يذكره أو يصرح بها خوفاً من أن يتهم بالعاطفية وادخال الأحاسيس والعواطف في مواضيع علمية صرفة أو الحذر واليقظة من الاتهام بالعنصرية والتعصب .

وهذه العوامل موجودة وراسخة في نفوس الكثير سواء صرحوا بها أو

---

(٤) عزالدين شكاره – تدريس الطب باللغة العربية ، آراء وخطة عمل للمناقشة ، بحث ألقي في مؤتمر اتحاد الأطباء العرب (الخامس والعشرين) ، بغداد ، شباط ١٩٨٩ .

اخفوها أو تجاوزوها بأحاديثهم وكتاباتهم وحججهم ... لأن قيمة اللغة العربية في توحيد وربط الأقطار العربية مع بعضها البعض من الأهمية بمكان ، بل ان اللغة أحد الركائز المهمة في الوحدة العربية المنشودة .

ان المعضلة الكبيرة والآفة الخطرة أن يتربص التعريب معارضو التعريب لأي هفوة بسيطة وعثرة عارضة أو خطأ طفيف ليطبلوا له ويزيدوا من حجمه وليغطوا عجزهم أو مآربهم غير السليمة الناتجة عن ضعف في نفوسهم وخور في عزائمهم أو جهل وتقصير بلغة الاجداد ، فتراهم يهرجون ويشنعون على التعريب ويلصقون باللغة العربية النقص والعجز عن مواكبة لغة العلوم بشكل عام ولغة الطب بشكل خاص ومن ثم يتخذون من هذه الأخطاء البسيطة والهنّات الضعيفة مرتكزاً لتعنتهم في مواقفهم المعارضة لتعريب الطب ومهاجمتهم لتدريس العلوم الطبية باللغة العربية . ليس هذا فحسب وانما يتجاوزون في هجومهم على اللغة العربية والى القائمين بها .

ولا يغيب عن الذهن تزمت بعض دعاة التعريب والقائمين به والمشرفين عليه ولذا نراهم قد تطرفوا في التزامهم اللغوي وتقعرهم النحوي واختيار كلمات وان كانت عربية ولكنها قد لا تنطبق على بعض الكلمات وانها أسهل وأقرب للذوق لو حافظنا على الكلمات المعربة ، وهكذا ذهب مدرسو اللغة العربية وبعض علماء فقه اللغة بأن يطلبوا من الأطباء وطلاب الطب لأن يتبحروا بعلوم اللغة والنحو والصرف أكثر من طلاب الآداب أنفسهم ، الأمر الذي عقّد وكرّه اللغة على الاساتذة وطلاب الطب على حد سواء وادى ذلك وبالتشديد في علوم اللغة العربية الى التقصير في طلب العلم ، وهكذا بدلًا من أن تكون اللغة واسطة لتسهيل استيعاب العلوم وهضمها ، أصبحت اللغة وسيلة لتعقيد متابعة العلم والتعليم .

وهكذا سارت المجامع العلمية وأكثر اعضائها من ادباء ومؤرخين ولغويين ، فاهتموا بالناحية اللغوية في التعريب أكثر من اهتمامهم بالعلم والثقافة والتقنية .

ونؤكد بأن لا ضير اطلاقاً من ادخال كلمات اجنبية معربة والتي أصبحت شائعة على المستويين العربي والعالمي ولا يوجد ما يقابلها باللغة العربية . وهكذا أخذتها اللغات الاخرى اليابانية والروسية والالمانية والفرنسية ، وغدت منتشرة على المستوى الدولي ، ولكن بشرط أن تؤخذ هذه الكلمات وتعرب بما

يناسب الذوق العربي والكتابة والتصريف العربي .

وتتحدث الطبيبة الاختصاصية بطب وجراحة العيون سرى فائز سبع العيش حول هذا الموضوع ، وهي صاحبة تجربة وممارسة عملية وعلمية ، ابتداءً انها درست الطب باللغة العربية في كلية طب دمشق ، ومن ثم سافرت الى انجلترا لتحصل على دبلوم الاختصاص بأمراض العيون ، وزمالة كلية الجراحين الملكية بطب وجراحة العيون ، ولهذا يكون لرأيها وشهادتها معنيان :

المعنى الأول : انها درست وعن تجربة واقعية الدروس الطبية بلغتها العربية الأم ، ومن ثم اتيحت لها الفرصة بأن تسافر الى بلاد الانجليز وتدرس العلوم باللغة الانجليزية الصرفة ومن ثم عادت الى الوطن العربي لتمارس طب العيون في بغداد ومن ثم في عمان وتكتب وتنشر آراءها وبحوثها العلمية باللغتين العربية أو الانجليزية . ونراها تقول في مقال نشرته منذ سنوات في المجلة الطبية العراقية :

« لقد كانت دراسة الطب باللغة العربية بالنسبة لنا متعة كبرى .. اذ لم يكن هناك حجاب لغوي يعرقل فهم العلوم الطبية ويطيل دوره استيعاب الأفكار وهضمها »[٥].

وتضيف الطبيبة في حديثها والادلاء بآرائها « لقد كانت الدروس السريرية كالنظرية بل أحلى . القصة السريرية تؤخذ من المريض رأساً ولا حاجة لترجمتها للغة اخرى لأن المريض عربي والطالب عربي واستاذ الطب عربي مثلهما » ... « ومتى دارت المناقشة حول تلك الحالة الراهنة ، لا حرج من ذكر كل شيء أمام المريض وحتى لو فرض أهله على كتمان طبيعة مرضه عنه ، لأنه لا يفهم شيئاً مما يدور أمامه من حديث لأن التعابير الطبية على بساطتها وسهولتها خاصة بالأطباء وحدهم ولن يستطيع غيرهم فهمها بسهولة »[٦]. وتواصل الحكيمة سرى بحديثها لتروي قصة واقعية حدثت في الجامعة الامريكية في بيروت .. « والكثير يعرف ولا شك ماذا كان جواب المسؤولين بالجامعة الاميركية ببيروت قبل عشر سنوات أو يزيد . اذ طالبوا

---

(٥) الطبيبة الاختصاصية سرى فائز سبع العيش ، لغة أدب وطب ، المجلة الطبية العراقية ، تموز ١٩٧٣ ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٦) الطبيبة الاختصاصية سرى سبع العيش ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .

الجامعة بحماس واخلاص حقاً عادلاً ومشروعاً وهو تدريسهم الحقوق باللغة العربية وهي أسهل وأقل مشقة من الدراسة باللغة الانجليزية . فقد رفض طلبهم بشدّة واعتبرته الجامعة تمادياً وقحاً وخروجاً على الأنظمة والتقاليد وطردوا جميع الطلاب الذين كانوا وراء الفكرة ، فالجامعة هذه تأبى باصرار أن تستبدل اللغة الانجليزية بأية لغة اخرى » .

ومن ثم نرى الحكيمة تستنتج هي أيضاً ما وراء الأكمة من أهداف مبيتة ومقاصد مخطط لها ، « اذاً وراء الثقافة والعلم شيء آخر ، أمر أوسع وأبعد وأعمق من القول بأن الانجليزية لغة عالمية ، العلم انساني ولا اعترض على القالب الذي يصب فيه ، فهذا حديث يقال فقط لنا ، عند الاعتراض على عدم تعليم الطب وغيره من العلوم باللغة العربية ، أما غيرنا فيفهم غير هذا !! » . ومن ثم نراها تضرب مثالاً بشخصها وكيف خاضت التجربة علمياً وعملياً : « ولعل كاتبة هذا المقال مثل متواضع على ذلك فأنا لم أجد الأمر مستحيلاً أو بالغ الصعوبة حين خضت ميدان التخصص وأخذت في دراسة العلوم الطبية الأساسية من جديد باللغة الانجليزية ، بعض جهد اضافي للالمام بالمصطلحات الجديدة » ... « لم يكن هناك العناء الكبير المستحيل ولم تلتهم الدراسة مني سنوات من العمر أكثر مما فعلته مع غيري من الأطباء العرب الذين درسوا الطب باللغة الانكليزية »[٧]. هذه اذن شهادة عملية لطبيبة درست التجربتين الدراسة باللغة العربية في مرحلة الكلية الطبية ، ومن ثم درست باللغة الانجليزية لمرحلة التخصص .

كم من السنوات مرت على مصر وهي تعتمد اللغة الانجليزية في تدريس الطب بعد حدوث النكسة الكبيرة التي خطط لها ونفذها باتقان الاستعمار وركائزه وبعد تغيير الدراسة من اللغة العربية الى الانجليزية في كلية الطب ... والان وبعد قرن من الزمان لنقف وقفة تأمل وصدق مع النفس والذات والواقع ، ومن غير تعصب أو ميل في كفة الميزان ونسأل أنفسنا بتجرد وصراحة كاملتين :

ما الكتب التي أُلفت في الطب والصيدلة والكيمياء والفيزياء والهندسة

---

(٧) الطبيبة الاختصاصية سرى سبع العيش ، لغة أدب وطب ، المجلة الطبية العراقية ، تموز ١٩٧٣ ، عدد خاص ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

- لو كانت اللغة العربية هي اللغة المعتمدة في التدريس والنشر والتأليف لزخرت المكتبات بأنواع التراجم والتأليف ، وكما هو الحال ببقية العلوم الاخرى - التأريخ والأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة والجغرافية والشعر . مرة اخرى - مرة ثانية وربما ثالثة ورابعة ، أضرب مثلًا باليابان التي اعتمدت لغتها الوطنية في العلوم كافة بما في ذلك الطب وما حققته بنفس الفترة من طفرات متلاحقة يعتبر معجزة من المعجزات العلمية - وهكذا يقال عن الصين والهند ويوغسلافيا وفنلندا و ... و ... و ... . ان للقضية أبعاداً اخرى اعمق غوراً وأكثر بعداً من مستوى التعليم - انه الصراع الوطني والصراع الحضاري الذي تتعرض له أمتنا العربية ضد القوى الاستعمارية ومحاولة مد النفوذ في هذا المرفق أو ذاك من مرافق الحياة ، وهل أكثر تأثيراً من تكبيل لغة القوم .

العرب أسهموا بصنع الحضارة العالمية سواء ما ذكر منه وما تجاهل ، ما أعلن وما أخفي ومنذ فجر التأريخ ومن ثم بعد الاشراقة الاسلامية وسيطرة العرب لحقبة طويلة من الزمن في حمل لواء العلم والحضارة . فالعرب اذن مؤهلون تأريخياً وعقلياً ونفسياً لحمل لواء الحضارة مرة اخرى . والغرب الذي يحاول جاهداً أن يضبب ويشكك ويعتم على ماضي العرب القديم والوسيط يحاول جاهداً وبكل السبل المشروعة وغير المشروعة لمنع الفرصة من أن تتاح مرة اخرى ، متخذين من اللغة الركيزة الأولى في عرقلة مسيرتهم والحيلولة بين العقل واللسان ، ادراكاً واقعياً منهم بأن اللغة هي الأداة الفاعلة في وحدة الشعوب والأمم والواسطة المعبرة عن الثقافة والعلم والتقنية وبناء المدنية وتشييد صرح الحضارة . وعلى الذين يشعرون بالعجز وعدم القدرة على مواصلة الصراع الحضاري وتركيز المواقف الوطنية أن ينسحبوا بهدوء وأن لا يثيروا جلجلة وغباراً ليخفوا وراءه ذلك العجز أن يزرعوا العراقيل ويحفروا الثغرات أمام مسيرة التحول الكبيرة في اعتماد لغة الأمة في تدريس العلوم بما في ذلك الطب والصيدلة والهندسة والحسابات والتقنيات الحديثة .

فعندما بدأت النهضة العلمية العربية في بغداد وانشاء بيت الحكمة فالذي اعتمدوه هو التعليم العام باللغة العربية ونقل العلوم كافة الى اللغة العربية لم يستثنوا فرعاً ولم يتركوا موضوعاً وهكذا .. نقلت علوم الطب والفلك والفلسفة والرياضيات والهندسة والكيمياء الى اللغة العربية ، ومن لغات

شتى . السريانية واللاتينية واليونانية والهندية .

وتراكمت الكتب المؤلفة والمترجمة الموضوعة فكانت النهضة العلمية المتوافقة .. وكان التقدم والتطور وبناء حضارة - وبناء صرح لم تقلع جذوره وان تهدمت سقوفه وقببه - برغم كل المحاولات الحاقدة والأساليب الخبيثة لطمر معالم الأمة .

والنهضة الأوربية التي اعتمدت الكتب العربية أساساً لها وقاعدة ، لم تأخذ اللغة العربية في تدريس الكتب العربية وانما اعتمدت مراكز للترجمة والنقل في طليطلة وبالرمو وساليرنو وباريس لنقل العلوم من العربية الى اللغات الأوربية أليس في هذا وذاك أدلة راسخة على أهمية النقل والترجمة الى العربية ومن ثم التأليف ونشر ما يكتب ويترجم وينقل ؟

والى متى يبقى علماؤنا وأطباؤنا وتلاميذنا عالة ومتطفلين على علوم الآخرين . وكيف نفكر أو نأمل ان نشغل حيزاً على كوكبنا الأرضي ما لم نسهم كعلماء وأطباء في المسيرة العلمية العالمية . والحياة العلمية أخذ وعطاء ولا يمكن أن نفعل ذلك ما لم نفكر بلغتنا ونبحث بلغتنا ونكتب وننشر وندرس بلغتنا . ان أكبر نسبة للرسوب هي في الصفوف الأولى في كليات الطب لأن حدوث التغيير المفاجىء من تعليم العلوم باللغة العربية الى تدريس مفاجىء بلغة أجنبية يؤدي الى هذه الفجوة الواسعة في اسلوب الاستيعاب والتعبير والكتابة والمناقشة في حين لو أخذنا مفردات ما يدرس من مواضيع لا تزيد الّا قليلًا أو ربما تقل عما درس في الاعداديات والذين حصلوا على درجات عالية في الاعداديات رسبوا وفصلوا ورقن قيدهم وانهدرت قابليات علمية كانت تبشر بخير لأنهم لم يتعلموا أو يفقهوا جيداً اسلوب ازدواجية التفكير وهضم المواد والتعبير الصحيح باللغة الاخرى . ومن ثم فان اعتماد التدريس باللغة العربية لا يعني الانقطاع من تعلم لغات اخرى . فهذه حتمية لا بد منها من أن يتعلم الطالب احدى اللغات الحية الاخرى - كالانجليزية أو الفرنسية أو الاسبانية أو الالمانية وحتى الروسية أو اليابانية ، لاحداث تزاوج حضاري ونقل علمي من جميع الدول الاخرى .

ويرفع فريق آخر بأن اللغة العربية هي لغة شعر وخطابة ونثر وفن وليست لغة علم وتقنية ، وهذا ادعاء باطل وفيه الكثير من التجني على الحقيقة والتنكر للواقع . فاللغة التي خرجت من الصحراء واستوعبت علوم الاغريق

والرومان والسريان والهند وهضمتها وصهرتها في بوتقتها العربية ليست عاجزة أن تستوعب العلوم مرة اخرى وبخاصة بعد أن كثرت مفرداتها العلمية والتقنية والفلسفية وتعددت الفهارس والمعاجم وما تمتاز به اللغة العربية من قدرة فائقة ومرونة كبيرة للتعبير والاشتقاق والتركيب والنحت ومن ثم تعريب الكلمات بمسمياتها الأجنبية من غير أن يؤثر ذلك على اللغة الأصيلة .

ويثير البعض عن سلامة نية وبساطة طوية ، والآخر عن قصد وتشكيك بأن التدريس باللغة العربية سيحرم الطلاب في مرحلة الكليات من الاطلاع على العلوم الطبية السريعة التطور وسيخلق مشاكل معقدة وصعبة للدراسات الطبية العليا والاختصاصات سواء أكان هذا داخل الأقطار العربية أم خارجها في الدول المتقدمة .. ويأتي في طليعتها الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا وكندا وهذه ناطقة باللغة الانجليزية . ومن ثم الدول الناطقة بالفرنسية وبعدها الاسبانية والالمانية والروسية واليابانية .. والرأي في هذا الجانب هو عدم اهمال تدريس اللغات الأجنبية في المتوسطات والاعداديات وانما العكس وهو زيادة الاهتمام بها وتطوير أساليب التدريس والتركيز على المواضيع العلمية وادخال الكثير من الفصول والقصص العلمية والمصطلحات .. وتحسين وسائل التدريس وفي مستوى كليات الطب لا بد من الابقاء على تدريس تلك اللغات في الصفوف الثلاثة الاولى في أقل تقدير - وتشجيع ترجمة المواضيع المهمة من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وبالعكس - يضاف الى ذلك اعتماد الاطروحات على المصادر والمنشورات الأجنبية واعتماد ما يؤلف ويترجم من مؤلفات حديثة واسطة مهمة وملزمة للترقيات العلمية والحصول على العلاوات السنوية وحتى الاختصاصيين لا بد من مطالبتهم بنشر البحوث الأصيلة وتأليف الكتب الصالحة وترجمة الكتب المنهجية أو المساعدة قبل أن ينالوا الترقيات والألقاب العلمية .

يضاف الى ذلك الاكثار من اشراك الأطباء وأساتذة الطب وطلبة الدراسات العليا من حضور الندوات والمؤتمرات العلمية داخل القطر والوطن العربي والعالم ، حيث تعقد سنوياً العشرات ، ان لم أقل المئات ، من هذه المؤتمرات في مشارق الأرض ومغاربها وحينئذٍ ستكون اللغة العربية احدى اللغات المعترف بها في المؤتمرات الطبية العالمية ، كما حدث وشقّت طريقها

الى هيئة الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الثقافة والفنون العالمية « اليونسكو » ، وبهذا يسهل على الأطباء والطلاب المشاركة والاطلاع على علوم الدول الاخرى سواء كانت تلك البحوث قد أُلقيت باللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الاسبانية .

وهكذا فان الانفتاح العلمي مهم ومهم جداً ولجميع الأمم والشعوب . وان ادخال اللغة العربية في المنابر والمؤتمرات الدولية سيعطي المنطقة والدول العربية والأمة العربية المزيد من الأهمية العلمية والتقدير ، وستسعى دور النشر والطباعة العالمية والصناعات بتطوير آلات الطباعة والحاسبات ، ونشرات التعريف للأجهزة والمعدات باللغة العربية – وهذا بحد ذاته سيحقق طفرة نوعية كبيرة في مجال نشر العلم الطبي العربي التراثي والمعاصر والمستقبلي .

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

تعريب الطب :
لماذا ؟

لا بد من التوضيح والافهام بأن عملية التعريب للعلوم الطبية هي جزء متكامل ومتناسق مع تعريب العلوم الاخرى كالهندسة والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة والحاسبات . وان احتل الطب حجماً مميزاً في حديثنا هذا لأسباب كثيرة في مقدمتها اني انطرق وابدي رأياً في موضوع عاصرته ومارسته مما يزيد على عقود ثلاثة من السنين ، ومن ثم تأخر عملية التعريب في العلوم الطبية تمثل وتهم شريحة كبيرة من المجتمع العربي ويحتل أهمية خاصة لعلاقة الطب بآلام الناس وصحتهم وحياتهم .

وان تعريب العلوم الطبية يشكل العقد الكأداء في عمليات تعريب العلوم الاخرى . مما يثار من مشاكل وتعقيدات تخص المصطلحات الطبية وأسماء الأمراض والأجهزة والمعدات والأدوية ، فاذا ما تم تعريب العلوم الطبية فان العلوم الاخرى ستحل عقدها وتسقط راياتها الواحدة بعد الاخرى تباعاً . ومن ثم تتلاحم جميع الجهود لبناء العلم العربي والبحث العلمي العربي المتكامل وتشييد الحضارة العربية لتكون السجل الأمين لجميع تلك الأحداث العلمية . ويتساءل الكثير من المعارضين لعملية التعريب في الوطن العربي عن المسوغات لتعريب التعليم الطبي في الوطن العربي . ونستطيع أن نسطر أكثر من سبب وندلي بأكثر من رأي مقنع لذوي الالباب والذين يفتحون عقولهم وبصائرهم لاستيعاب الحقائق لأدركوا الفوائد الكثيرة والمنافع الواسعة لعملية تعريب الطب في الوطن العربي . وللتعريب فوائد لا تحصى ومردودات ايجابية قد تقصر الكلمات من أن تحصيها وتثبتها على وريقات أو محاضرات أو حتى ندوات بين آونة واخرى تعقد هنا وهناك على امتداد الوطن العربي .

ويأتي في مقدمة تلك الأسباب ، عملية استيعاب الطالب والدارس عندما يقرأ العلوم الطبية بلغته الأصلية التي يواصل الحديث بها والمخاطبة اليومية

وقضاء حوائجه بالكامل بين أقرانه وأصدقائه وعائلته واخوانه فانه طبيعي وطبيعي جدا اذا ما تحدث أو قرأ العلوم الطبية بهذه اللغة فانها تسهل عليه الاستيعاب . وقد اثبتت جميع الدراسات في مشارق الأرض ومغاربها بأن الطالب الذي يدرس بلغته الأصلية أكثر استيعاباً وتفهماً من أولئك الذين يدرسون بلغة أخرى مهما كان ذلك الشخص متمكناً من تلك اللغة الأجنبية .

لقد زاملنا في سنوات الكلية الطبية طلاب على درجات عالية من القابلية والذكاء وقد أحرزوا درجات عالية في الاعدادية ويملكون قدرات جيدة في استيعاب العلوم ولكن خانهم تفهم الدروس باللغة الانجليزية الأمر الذي أخرهم لسنوات أو تركوا مقاعد دراسة الطب فخسروا أنفسهم وخسرتهم الكليات الطبية وخسرهم المجتمع .

فالطالب ابتداء لا يعرف كيف يقرأ ويفكر باللغة الأجنبية . وانما يقرأ باللغة الأجنبية ومن ثم يترجمها مع نفسه الى العربية حيث يفكر باللغة الأم ليرسلها الى حافظته العقلية لخزنها . وتظهر المعضلة نفسها بوضوح اثناء التخاطب والمناقشة . وهكذا يبذل جهوداً مضاعفة ووقتاً كثيراً لاستيعاب نفس المادة بوقت قصير لو درسها وقرأها بلغته الأصلية التي يمارسها ويتحدث بها ويكتب ويقرأ بها بصورة مستمرة . وبذا فان عملية التعريب تزيل هذه العقدة والمعضلة المتحكمة بين مخزون المعرفة والعلوم وبين اللغة وسهولة التعبير . فان التدريس باللغة العربية يقضي على هذه الازدواجية ويحقق التوازن الطبيعي بين الفكر واللسان .

وهذا ما دعا المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة أن توصي باستخدام اللغات الوطنية في التعليم . ولم تأت هذه التوصية اعتباطاً وانما اعتماداً الى دراسات وتقارير علمية أعدها خبراء متمكنون ومدركون لقضايا التعليم والعلم والثقافة .

وان ما يكتبه ابناء العروبة من رسائل أو بحوث أو ينشرونه من مقالات باللغة الأجنبية يشكل اضافات الى تلك اللغات التي كتبت بها وليس كتابات تضاف الى اللغة العربية وتراثها ، حيث ان وطن العلم هو اللغة التي يكتب بها ، ولا يمكن ان ندعي لعلم كتبه ابناء العروبة اذا لم يكتب بالعربية . يضاف الى ذلك ان اغلب ان لم نقل جميع مدارس التمريض والمعاهد الطبية ومدارس العناصر الوسطية تدرس باللغة العربية وهذا أحد الأسباب الذي يخلق فجوة

كبيرة بين الأطباء ومعاونيهم .

ومن ثم ان عملية التعليم والتثقيف بلغة أجنبية يخلق تفاوتاً كبيراً بين ادراك الطبيب وتفهم المرضى لحالتهم وعدم تمكنهم من مواكبة الثقافة الصحية العامة . ومعضلة اخرى فان عملية التعليم في الكلية الطبية بلغة معينة تحرم تلك الكلية من مدرسين وأساتذة درسوا وتعلموا في بلدان اخرى حيث نجد الصعوبة التي يواجهها المدرس الذي درس في روسيا أو اليابان أو المانيا أو فرنسا أو اسبانيا ، حيث نهضت وتطورت العلوم الطبية في جميع هذه البلدان ، في حين لو واصل المدرسون تحصيلهم العلمي في بلدان كثيرة اخرى ليعودوا ويصبوا ما نهلوه من علوم في بوتقة واحدة تستوعبها اللغة العربية ، وهكذا تهب علينا رياح المعرفة من شرق الأرض ومغربها ولا نحصر أنفسنا بنهج واحد واسلوب معين وكذا ما يفعله التدريس باللغة العربية من تلاحم علمي بين الأقطار العربية . ولا أكثر ايلاماً للنفس وأنا احضر ندوات ومحاضرات مؤتمرات اتحاد الأطباء العرب لأجد صعوبة التفاهم ومتابعة الحضور من أطباء المشرق العربي الذين تعلموا باللغة الانجليزية مع أطباء المغرب العربي الذين تعلموا باللغة الفرنسية . الأمر الذي يستوجب ترجمة من الانجليزي الى الفرنسي أو من الفرنسي الى العربي . وتبقى اللغة العربية مزاحة جانباً على هامش الندوات .

فعندما يحاضر مدرس من كلية طب بغداد وهو يلقي بحثه باللغة الانجليزية لا يدركه ولا يفهمه مدرس كلية طب تونس أو الجزائر أو المغرب ، وان كانوا جميعاً يحملون الاختصاص عينه ، ولذا يتطلب الأمر ترجمة من هذه اللغة الى تلك وبالعكس وما تضيفه عملية الترجمة من اضعاف للمضمون والمحتوى وقد يغير الكثير من المعطيات العلمية ان لم يؤدِ الغرض المقصود بدقة علمية مطلوبة .

« ويكون للتعريب دور كبير في تكوين الفرد وتطوير المجتمع ورفع عملية التنمية الاجتماعية والثقافة العلمية في الوطن العربي والتي عمادها الانسان »[1].

ومن ثم فان التعريب يقضي على الفجوات الواسعة في الفهم والادراك والاستيعاب بين المدرسين والطلاب وبقية العلوم الاخرى المكملة للعلوم

---

(١) ندوة تعريب التعليم الصحي في الوطن العربي ، دمشق ٢٦ - ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٩هـ / ٥ - ٧ كانون أول ١٩٨٨ م ، ص ٧ .

الطبية والتي تدرس باللغة العربية كعلوم الاحياء والنبات والحيوان والفيزياء والكيمياء .. وبهذا يحقق التعريب الانسجام والتفاهم بين مختلف العلماء وشتى الاختصاصات ، حيث تكون اللغة العربية الرابطة القوية والموصل المتين بين اساتذة الطب والأطباء والمدرسين من الاختصاصات الاخرى .

وبالقاء نظرة فاحصة شاملة الى مختلف شرائح المجتمع وبخاصة المثقفة ، نجد ان العلوم والثقافة الصحية متدنية لدى عموم الناس وحتى هذه الطبقة التي توصف بأنها مثقفة ، نجدها تدرس وتناقش وتفقه الى حد كبير في التأريخ والشعر والنثر والجغرافية والفلسفة والفلك والذرة والأقمار الصناعية وآخر المبتكرات الفنية ، ونماذج الألبسة والأفلام السينمائية ... وربما أحداث العالم .

ولكنهم يجهلون حتى أبسط المعلومات والقواعد الصحية الوقائية أو الارشادات العلاجية . وأبسط الأساليب المتعلقة بتشريح ووظائف الأجهزة وأعضاء الجسم ... والسبب لأن الطب في الوطن العربي لا يزال يكتنفه الغموض والأطباء يعيشون في شبه عـزلة عن الكثيـر من شراح المجتمع .

فاذا ما انتشر التدريس باللغة العربية وكَثُرتْ المصطلحات وعم تداولها بكل تأكيد تكثر الكتب والمجلات والنشرات منها ما يفيد طلاب الطب والأطباء ولكن ستكثر النشرات والمجلات التي ستعيد العلماء والمثقفين والباحثين من شرائح المجتمع الاخرى .

ومن ثم يكون التشجيع لاصدار نشرات ومؤلفات - المقروء منها والمنظور والمسموع - لتفيد عموم القرّاء ، وبذا نسدي خدمة لابناء مجتمعنا الذين يرزحون تحت طائلة الجهل بأبسط الاجراءات الطبية والجراحية الواجب اتخاذها عندما تحل الكوارث والحوادث نجد ان أغلب مثقفينا يجهلون قواعد الصحة العامة والوقاية من الأمراض والاوبئة .

والتعريب بحد ذاته هو الذي يساعد على نمو اللغة وتطورها ويعيد اليها نشاطها ومنزلتها بين اللغات الاخرى على المستوى العالمي وتكشف عنها غطاء الشكوك وضباب الخوف وتخرصات الأعداء بأن اللغة العربية هي لغة شعر ولا تصلح أن تكون لغة علوم ، وفي هذا ليس انتصاراً للغة العربية بقدر ما هو انتصار للحق ودحض افتراءات الأعداء .

الترجمة والتعريب

لعبت الترجمة دوراً مهماً عبر مسيرة التأريخ في نقل العلوم والاداب والفلسفة والحضارة من منطقة الى اخرى ومن مكان الى آخر . حتى لنستطيع الجزم بأن ما من أمة تقدمت وأرست لها مكاناً تحت الشمس الّا وكانت الترجمة هي القاعدة الأولى التي اعتمدتها . حيث تهب رياح العلوم والمعرفة والحضارة من بلد الى آخر بواسطة نقل اللغات وعبر الترجمة ، كان هذا سائداً منذ فجر التأريخ . فالشعوب والقبائل ، بل الانسان الأول ، تعلم الخبرة والمعرفة والقواعد البسيطة الأساسية للعلوم ابتداءً بالمراقبة والاحتكاك والاختلاط والتجارة . ومن ثم بعد تكون الجماعات والدول غدت عملية النقل والترجمة واستفادة الشعوب بعضها من البعض الآخر أكثر وضوحاً ، علوم بلاد الرافدين انتقلت الى سواحل فلسطين والى مصر والى مناطق الأناضول ، ومن ثم الى بلاد اليونان والرومان ، وكذا انتقلت العلوم المصرية هي الاخرى الى سواحل فلسطين والى بلاد الرافدين وكريت وأرض اليونان .

وهكذا نجد الكثير من الكلمات ومسميات انتقلت من أرض الرافدين ووادي النيل الى اليونان ورسخت في مسميات تلك الحضارة ، ونذكر أمثلة بسيطة على ذلك :

تقن ← تكنو

العريشة ← لاريشا

القند ← القندس

الصلد ← الصولدجر

الجمل ← الكمل

وواسطة النقل هي الترجمة سواء أكانت هذه الترجمة بواسطة التجارة أو المجاورة أو المصاحبة أو الحروب أو الاستيطان أو الجنود المرتزقة . ومن ثم عرف العرب قبل الاسلام النقل من الأقوام المجاورة والحضارات السابقة . وهكذا نجد الكثير من الكلمات والجمل والمفردات ، في الانجيل والتورات ولغات اخرى ولكنها متداولة في اللغة العربية . وساعد ذلك الغزوات والحروب والوفود والتجارة بين عرب الجزيرة وعرب الغساسنة في الشام وعرب المناذرة في

العراق والى اليمن والحبشة والهند . وساعدت فتوح الاسكندر المقدوني ٣٣٣ - ٣٠٣ ق.م على انتشار الثقافة الهيلينية والكلمات اليونانية في سوريا ومصر والعراق .

ومن ثم وعندما بدأت الدولة الاسلامية تبثت أركانها في البلدان التي فتحتها وحررتها من المستعمرين الأوائل الذين فرضوا عليهم لغتهم الدخيلة ، اللاتينية في بلاد الشام والفارسية على تخوم العراق والسريانية في ربوع الاسكندرية والشام ونجران وتكريت وجندسابور . وغدت العربية تلملم أذيالها وتشهد عملية انحسار متواصلة من هنا وهناك وبخاصة في الأوساط العلمية . وان حافظت على قوتها وازدهارها بالشعر والنثر والخطابة ... الى ان قيض لها بداية حسنة ، وان كانت متواضعة في بدايتها ، حيث بدأ بها خالد بن معاوية بن ابي سفيان بعد أن فقد أمله بالخلافة فاتجه الى العلوم وبخاصة الكيمياء ، وأمر فتُرجمت له الكتب العلمية ، وبهذا تشكل هذه أول بادرة منظمة في عالم الترجمة ، ويعتبر خالد بن يزيد ، سنة ٨٥ هـ - ٧٠١ م ، أول من أمر بنقل كتب الكيمياء الى العربية .

وفي خلافة مروان بن الحكم ٦٤ - ٦٥ هـ نقل ماسرجويه البصري كناش اهرون بن اعين في الطب من اللغة السريانية الى اللغة العربية ، وهو كتاب قيّم ونفيس في معارفه . ولكنه لم ينشر ولم يستفد منه حتى جاء الخليفة عمر بن عبدالعزيز وأظهره للناس والاستفادة منه .

وبعد أن استقرت الأمور السياسية لدولة بني العباس في عصر أبي العباس السفاح ، ومن ثم جاء المنصور سنة (١٣٦هـ - ١٥٨ هـ) - (٧٥٤ - ٧٧٥ م) الذي اتخذ خطوات ايجابية لتثبيت أركان دولة راسخة . فقد اهتمّ وشجّع على نقل الكتب العلمية من اللغات الأجنبية الى العربية ، ونهض بذلك جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع الذي نقل بعض الكتب من اليونانية الى السريانية والبعض الآخر الى العربية ، وكذلك عبدالله بن المقفع الذي ترجم الكتب الأدبية والفلسفية عن الهندية والفارسية . ولكن الترجمة بزخمها الصحيح نشطت في عهد الخليفتين هارون الرشيد والمأمون ، بدأ بها الرشيد وأخذ يجمع الكتب بسفراته وغزواته ويبادل الأسرى بالكتب العلمية ويعقد المعاهدات والمواثيق ويجعل من شروطها تزويده بالكتب العلمية المختارة ويدفع بها الى المترجمين الذين غدت أعدادهم تتزايد في بيت

الحكمة في بغداد . أما المأمون فقد كان شغفه بالعلم والعلماء والنقل والترجمة يفوق الوصف ، حيث كان يحضر مجالس العلم والعلماء ويتبادل معهم الحوار والمناقشات والطرائف والآراء ، وليس هذا فحسب وانما كان يعطي رئيس المترجمين في بيت الحكمة - حنين بن اسحاق العبادي - وزن ما يترجمه ذهباً . وعندما نقل الحسّاد والوشاة الى المامون بأن حنين يكبر من الكلمات ويباعد بين الأسطر ويثخن الورق ليزيد وزن الكتاب ، كان جواب المأمون القاطع الدال على حبه للعلم والعلماء وادراكه العميق لاهمية العلم في ارساء قواعد ملكه وبناء حضارة العرب : - فليزدها وزناً لأزيدنه ذهباً !!

وهذا يعطي الدليل الواضح على اهتمام الخليفة بالترجمة ونقل العلوم من اللغات الأجنبية الى العربية ليخلق شعباً عالماً مثقفاً ، لا أن يقصر العلم والثقافة على من يجيد اللغة اليونانية فقط . وسواء أصحت تلك الرواية أم انها من صنع المؤرخين والنساخ ، ولكن في الاستشهاد بها وسردها يعطي الدليل الواضح على المستوى المادي والمعنوي اللذين كان يحيط بهما الخلفاء العلماء والمترجمين . وان الترجمة هي التي أقامت حركة علمية واسعة النطاق واستطاع العرب بفضل ذلك أن يقيموا حضارة علمية واسعة انتشر شعاعها لينير ربوع العالم لعدّة قرون . وكان التركيز في الترجمة على علوم الطب والكيمياء والهندسة والفلك والفلسفة والرياضيات ، ولم يعط العرب في بداية نهضتهم أهمية كبيرة الى ترجمة الشعر وآداب الأمم الاخرى الّا لماماً ولما تشمله تلك الكتب من مفاهيم فلسفية أو أغراض سياسية ككتاب (كليلة ودمنة) و (شاهنامة الفردوس) .

وهكذا بعدما تهيأ لها المناخ المناسب ، واهتمام الخلفاء والامراء بالأطباء والعلماء والمترجمين برعايتهم وتكريمهم وتشجيعهم ، وما هي الا سنوات قلائل واذا بالعرب يحولون لغتهم من لغة شعر وغزل ونثر وخطابة ووصف وصحراء وخيل وجمال الى لغة علم وفلسفة وحضارة ، فكان نتاجهم العقلي العلمي والحضاري ما يفوق عطاء أية أمة من الأمم القديمة . والأهم من الرعاية والتشجيع ، لم يكن هناك بينهم من يشكك في مقدرة اللغة العربية على احتواء العلوم ولا اناس يدسّون السم بالعسل ولا هناك استعمار سياسي واقتصادي واحتواء حضاري .. وانما كان العرب هم السباقون في عالم المعرفة

والعلوم والحضارة فعندما هيأ الخلفاء والحكام البيئة والمناخ الفكري والحضاري التي احتوت العلماء والفلاسفة والمفكرين في عصور ازدهار الحضارة الاسلامية وجميعهم صبّوا عصير عطائهم في بوتقة الحضارة العربية وكتبوا وترجموا وألّفوا باللغة العربية . ولم يلتفتوا الى منحدرهم الاقليمي والعنصري أو موطنهم السابق ، وانما هم عاشوا وسط تفاعل عربي شامل ، وقد اهتم الأدباء والفلاسفة واللغويون بالترجمة ومفاهيمها وأساليبها وفي المقدمة يأتي الجاحظ الذي وضع اسساً وقواعد للترجمة وأوضح ما يحتاج اليه المترجم وما وقع فيه المترجمون من أخطاء :

١ - أن يكون المترجم عارفاً بالموضوع الذي يترجمه .

٢ - أن يكون بيانه في الترجمة وزن علمه بالموضوع الذي يترجمه .

٣ - أن يكون عالماً باللغتين المنقول عنها والمنقول اليها .

٤ - أن يكون عارفاً باسلوب المترجم وعباراته وألفاظه ومجازاته وتأويلاته[١].

وكانت هناك أسباب كثيرة شجّعت وساعدت على نقل كتب العلوم والطب والفلسفة الى اللغة العربية :

١ - القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وحث الاسلام على طلب العلم .

٢ - رعاية الخلفاء لحركة الترجمة والنقل وجمع كتب الطب والفلك والفلسفة من مختلف أصقاع العالم .

٣ - ظهور حاجة العرب الى علوم وثقافة لم تكن عندهم في حياتهم الصحراوية ولكن فرضتها عليهم حياتهم الحضارية الجديدة .

٤ - اختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب واطلاعهم على ثقافات لم تكن معروفة لديهم ورغب العرب أن يوسعوا بهذه الثقافات مداركهم العلمية .

وقد استطاع أشخاص لمع نجمهم في عالم العلم والمعرفة وتمكنوا من نقل العلوم وترجمتها واختيار الكلمات المناسبة من اللغة العربية اذا ما تعذر ذلك فانهم يميلون الى النحت أو الاشتقاق أو القياس ، فقد استطاع حنين بن اسحاق العبادي بمفرده ومن ثم بمعاونة تلاميذه من ترجمة الكثير من الكتب

---

(١) د. أحمد مطلوب . حركة التعريب في العراق ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٣م ، ص ١٥ .

وأدخل الكثير من الكلمات الجديدة في المصطلحات والعلوم الطبية وعلم الفلك والسياسة .

وكذا فعل الكندي في العلوم الفلسفية ، فقد اشير في بعض المصادر بأنه كان من حذّاق المترجمين العرب ، ولكن تميل أغلب المصادر الاخرى بأنه لم يكن مترجماً وانما تنقل اليه العلوم الطبية والفلسفية من اللغات الاخرى ، الاغريقية واللاتينية والسريانية ، الى العربية ويأخذ هو باعادة كتابتها وصياغتها بالاسلوب العربي الصحيح وبذا يُعد أول من أدخل المصطلح الفلسفي ومفرداته الى اللغة العربية .

وكانت عملية الترجمة والنقل تتم وفق خطة مدروسة ولم تتم اعتباطاً وانما عن قرار وقصد مسبقين ، وهكذا كانت مع الكتب التي لها مساس بحياة الناس وتطور حياتهم الاجتماعية والعلمية ، حيث كان الاهتمام ابتداءً بنقل كتب الطب والفلك والهندسة والرياضيات ، وبعد أن أكملوا رغبتهم العلمية وحاجتهم الى تلك العلوم اتجهوا نحو الكتب الفلسفية والأدبية ، وقد استخدم العرب طريقتين للنقل ، أولهما طريقة حنين بن اسحاق وهي طريقة اختيار المعنى للنقل وذلك بأن يأخذ المترجم الجملة وينقلها بمعناها ويتصرف في ضوء ذلك . والطريقة الثانية وهي طريقة يوحنا بن البطريق وذلك بأن يلتزم الناقل بالنص الحرفي للكلمات وينقلها الى العربية .

وقد اثبتت على مدى الأيام والدراسات بأن الطريقة الأولى هي المُثلى في ايصال العلوم وان كان هذا الاسلوب يتطلب سعة علمية بالعلوم المنقولة وكذلك باللغتين المنقول عنها والمنقول اليها . أما الاسلوب الثاني في النقل فان الناقل بحاجة كبيرة الى معرفة معاني الكلمات في اللغتين . وقد أفادت حركة النقل الثقافة العربية من نواحٍ كثيرة أهمها انها مكّنت العرب من الاطلاع على علوم كثيرة كانوا بأمسّ الحاجة اليها وبخاصة الطب والكيمياء والفلك والهندسة والرياضيات .

وقد ساعدت عملية النقل على اتساع الأفق الثقافي للعرب بما دخل اليهم من علوم وثقافات الأمم الاخرى وامتزاجها بما يملكون ويتوارثونه من معارف وعلوم متداولة بينهم . ومن ثم فان الذين يعرفون لغات أجنبية من العرب قليلون وان حركة النقل هذه مكّنت العلماء العرب والمهتمين بالعلوم من مواصلة الدراسة والتعلم باللغة العربية ، ولولا ذلك لتقوقعت العلوم وانحصرت

على قلة قليلة من الذين يعرفون اللغات السـريانيـة والاغريقيـة والهندية ..

وبعد ان اطلع العرب على الكتب المنقولة والمترجمة وتكوّنت لديهم حصيلة جيدة من الثقافة العلمية ، الأمر الذي مكّنهم من الكتابة والتأليف والتي جاءت عطاءات مضافة الى التراث العلمي العالمي والحضارة الانسانية .

وان اللغة العربية نفسها نمت وتطورت بما اضيف اليها من مصطلحات علمية جديدة وتعابير فلسفية سواء المشتقة منها والمنحوتة والمعربة وانفتحت الأبواب التي كانت موصدة أمامها ودخلت اللغة العربية المجالات العلمية بينما كانت مقتصرة سابقاً على الشعر والنثر . وهذا أعطى اللغة العربية القدرة على الاتساع لتواكب المتطلبات العلمية ولتثبت للعالم انها لغة علم وفلسفة وطب وهندسة ورياضيات مثلما هي لغة شعر ووصف وخطابة ونثر وغزل .

ولعبت الترجمة وحركة النقل دوراً مميزاً بل ومصيرياً في انتقال العلوم والحضارة من المشرق العربي الى الغرب . ولا أجدني بحاجة هنا أن استفيض بالحديث واطنب للمقارنة بين مستوى الطب الرفيع في العالم الاسلامي والتخلف الطبي في عموم اوربا ولكن لصلة الموضوع والحديث عن انتقال العلوم العربية الاسلامية وبخاصة الطب من الشرق والمغرب العربي الى جميع دول اوربا ولغاتها . وبخاصة بعد أن وقعت طليطلة بيد الاسبان ومن ثم قرطبة وصقلية بيد النورمانديين واستولوا على المئات والآلاف من أمهات الكتب العربية في الطب والعلوم ، فانهم لم يوجهوا ابناءهم الى تعلم اللغة العربية ليدرسوا ويتعلموا العلوم العربية انما شكلت مراكز عديدة للترجمة في بالرمو وسالرنو وطليطلة وقرطبة والقيروان . وهكذا حدثت حركة نشطة لترجمة العلوم وترجم الكتاب العربي الواحد الى غير لغة اوربية ، ابتداءً الى اللاتينية والعبرية والبروفنسية ومن ثم بعدها الى الانجليزية والفرنسية والالمانية . ولم يجدوا حرجاً لغوياً عندما تتعذر عليهم الكلمات المناسبة في تلك اللغات من ابقاء المصطلح العربي وبالاسم العربي . ولا تزال اللغات الاوربية زاخرة بالمفردات العربية . وهذا لا يغير تلك اللغات ولا يقلل من أهميتها ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، لأن الاطناب في ذلك يستوجب كتاباً

مستقلًا :

القلي ← ALKALI

كافور ← CAMPHOR

سكر ← SUGAR

مسك ← MUSKUS

صندل ← SANTALUM

تمر هند ← TAMARINDIS

الشراب ← SYRUP

اكسير ← ELIXIR

وغيرها كثير ...

في بالرمو في صقلية وبتشجيع من الملك فردريك الثاني ترجم ميشيل سكوت ، مختصر كتاب الحيوان لأرسطو من العربية وبقلم ابن سينا الى اللاتينية ، كما ترجم شروحات ابن رشد لفلسفة أرسطو . وفي صقلية أيضاً بزغ نجم فرج بن سالم وقد درس الطب في كلية طب سالرنو وكان يعرف العربية فترجم الى اللاتينية كتاب الحاوي الكبير للرازي .

وقسطنطين الافريقي عربي من تونس وكان تاجراً ولكنه حمل كتب الطب وارتحل الى سالرنو في بداية نهضتها وأخذ يترجم الكتب الطبية العربية وينتحلها الى شخصه . وقد بلغ عدد الكتب التي قام بنقلها ما يقرب من ثلاثين كتاباً ترجمها بمفرده أو بمعاونة تلاميذه ، منها كتاب كامل الصناعة لعلي بن العباس المجوسي ، وعشر مقالات في العين لحنين بن اسحاق العبادي وكتاب الغذاء لاسحاق بن سليمان وكتاب الفصول لابقراط وكتاب الكيمياء لأبي بكر الرازي .

أما في طليطلة وهي أنشط مراكز الترجمة والنقل من العربية الى اللغات الأوربية فأشهرهم جيرارد الكريموني - وهو كبير مترجمي طليطلة وأغزرهم انتاجاً وثقلًا . ويقدر مجموع ما ترجمه ما يزيد على ثمانين كتاباً منها بعض أجزاء من كتاب القانون لابن سينا وأكثر كتب ابقراط وجالينوس بترجمة حنين بن اسحاق ، وبعض كتب اسحاق بن سليمان وبعض أجزاء كتاب المنصوري للرازي ، والأجزاء الجراحية من كتاب التصريف للزهراوي وكتاب معرفة قوى الأدوية المركبة للكندي وغيرها من الكتب الطبية والفلسفية والمهمة . ونرى

بان النقل والترجمة من اللغة العربية قد تكثفت وتمركزت في مراكز مهمة منها طليطلة وسالرنو وقرطبة وبالرمو . ولكن نرى أيضاً أهمية ظهور دور الافراد في نشاطهم الدؤوب في نقل العلوم من العربية الى اللغات الاوربية ...

فكيف بنا الان وهناك المجامع اللغوية العربية في جميع العواصم العربية - بغداد - القاهرة - دمشق - عمان - فاس - تونس . يضاف الى ذلك مراكز الترجمة الكثيرة المنتشرة هنا وهناك وامكانات الطباعة والاستنتساخ والتصوير والنقل والفاكس وغيرها .. مما يسهل عمليات النقل وتبادل الخبرات والطبع والنشر والتوزيع . وقد وضع اتحاد الأطباء العرب ومنذ منتصف العقد السابع من هذا القرن المعجم الطبي العربي الموحد ، الذي جاء ثمرة جهود مضنية من الأساتذة واللجان الأمر الذي ساعد وسيساعد في تسهيل عملية النقل والترجمة وكذلك اللجان الكثيرة التي عملت في المجامع العلمية واللغوية . واشير الى اللجنة في المجمع العلمي العراقي التي وضعت للنقل مفاتيح للرجوع اليها ويمكن اجمال بعضها :

١ - اللفظ المستعمل في كتب الأقدمين ، بأن يستعمل فلا يعدل عنه ، الا اذا كان معقداً وربما وجد أسهل منه وأكثر مطابقة عليه .
٢ - رأت اللجنة ان اغلب مصطلحات الأمراض تنتهي على القياس اما (osis) وهي أمراض لها طبيعة خاصة (osteoarthrosis) وأما (itis) وهي في الغالب التهابات جرثومية وأمراض احتقانية (appendicitis) لالتهاب الزائدة الدودية .
٣ - وثمة اسماء تنتهي في اللغة الانجليزية بـ OID ويراد بها معنى الشبه كاللحماني شبه اللحم والشحماني .
٤ - اتخاذ « فعول » لأسماء الأدوية (سعوط ، سقوف) .
٥ - واتفقت اللجنة على ان أصل مصادر الأفعال الثلاثية « فَعلٌ » وهكذا تبدأ التسميات .
٦ - ولا بد من الاضافة بأن الكثير من الكلمات الانجليزية في وصف الأمراض تنتهي بـ ACHE وتدل على الألم فيقال مثلاً HEADACHE للصداع و BACKACHE للظهار و NECKACHE لألم العنق و EARACHE لألم الاذن و TOOTHACHE لألم السن[٢].

---

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد السادس عشر ، بغداد ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، مصطلحات علم الجراحة ، مطبوعات علم الجراحة والتشريح .

ان امثال هذه القواعد تسهل على الباحثين والناقلين والمترجمين عملية نقل وترجمة العلوم الطبية . واذا كان هناك ضعف أو عجز أو ذكر الصعوبات في عمليات الترجمة والنقل فان ذلك يكمن في الأشخاص الذين يستعملون اللغة وليس في اللغة ذاتها ، سواء أكان ذلك في التأليف أم الترجمة ، وأن نضع نصب أعيننا بأن أهل اللغة لا يعرفون جميعاً مصطلحات جميع العلوم وبخاصة العلوم الطبية والأدوية والأجهزة والآلات وأسماء الأمراض . وكذلك يقال بأنه من غير المنطق أن نطلب من علماء الطب بحور اللغة وأدق القواعد النحوية ، وانما المطلوب من الكاتب والمترجم في العلوم أو حتى اللغة العلمية نفسها ، التعبير بوضوح عن الأغراض المقصودة وأن ننقل المصطلحات لتعرف الهدف المراد . وان وضع أي مصطلح في أي علم أو فن لا بد من أن يسهل القصد ويوضح المعنى . ولذا لا بد من الادراك السليم بما لعبته الترجمة سابقاً من دور كبير ومهم ومؤثر في نقل العلوم بين الشعوب والأمم . ولما يزل الطريق أمامها واسعاً لتلعب الدور ذاته في نقل العلوم ونشرها بين الأمم ليستقي منها الجميع وينهلوا من ينابيع المعرفة دون اعاقة أو عرقلة تفرضها هذه اللغة أو تلك ، واللغة العربية ليست بعاجزة لاحتواء ما يترجم وينقل اليها ، وهي تملك تجربة غنية يذكرها التأريخ الى يومنا هذا وتملك ثروة لفظية عظيمة ممثلة بكتب التراث والمعاجم اللغوية الكثيرة التي تشكل خير مساعد ومعين لمن أراد الكتابة والترجمة والنقل والتأليف . والصفة التي تلصق بالعرب بأنهم أصحاب تراث أدبي وان الشعر وصناعة الألفاظ والبلاغة والبيان والخطابة والنثر كانت أهم عندهم من العلم والطب وأسرار الحياة .

وما ينشر الآن ويعطى مساحات واسعة من دور النشر والطبع والمكتبات هي النشريات والتراجم والتآليف الأدبية . والقول الفصل والذي يجب أن يكون واضحاً للجميع بأن العلم والتراث العلمي هو الذي يمثل وجه العبقرية الصحيحة وهو الذي يتحكم بمصير الامم والشعوب والذي جعل العرب سدنة العلم والفكر والحضارة في العصور السابقة وهو الذي سيحدد مصيرتهم الحاضرة والمستقبلية . ولذا نجد الأمم كافة والدول والشعوب تتسابق في احداث نهضتها العلمية والتقنية لتلحق بالسباق العالمي وتسير مع التطور والتقدم في العالم .

التراث في تسهيل عروبة التعليم[1]

هذا مؤتمر للتعريب ، وكأي مؤتمر آخر معرض للنجاح أو الفشل ، للموفقية أو الاخفاق ، لذا فان اخضاعنا عملية التعريب لهذه الاحتمالات فيه الكثير من الانكار والاجحاف للغة العربية التي كانت وما زالت معطاءة غنية سهلة الانقياد لأي فارس يحاول سبر غورها والوقوف على أسرارها حتى لغير ابنائها الذين كتبوا بها وعبّروا عن أدق ما كان يجول في عقولهم من أفكار في مختلف العلوم . وكثيراً ما تراود أذهاننا فكرة عروبية العلوم أهي فكرة طارئة تمر بأذهاننا كأي فكرة اخرى مر السحاب أو نحلم بها في منامنا أو يقظتنا ، أو انها حقيقة دوافع يجب الالتزام بها والسير على هديها « بتعريب » أو عروبة العلوم كالطب والهندسة وبقية العلوم الاخرى ؟ وهذا يقودنا الى سؤال آخر أعمق وأشمل .. هل نؤمن بذاتنا ؟ هل نعتز بكرامتنا ؟ هل نفخر بتراث أمتنا ؟ أو فوق هذا وذاك هل يحق لنا الحياة ؟ وهل يحق لنا مشاركة الانسانية مسيرتها الحضارية ؟

اذا امنّا بهذه كلها فلا داعي لأن نسأل أنفسنا إن كنا نؤمن بتعريب أو عروبة العلوم أو لا ؟.. لأنها تغدو بديهة واضحة لا تحتاج الى اثبات أو برهان .

الذي اعتقده برأيي المتواضع بأن أكبر اهانة توجه الى لغتنا العربية هي هذه المؤتمرات التي تعقد هنا وهناك على امتداد الوطن العربي لتبحث قدرة اللغة العربية في مسايرة اللغات الاخرى وامكاناتها لاحتواء العلوم الحديثة بأسمائها واصطلاحاتها المعقدة ، ولماذا هذه المؤتمرات في مناقشة عملية تعريب العلوم أو العلم العربي والهندسة العربية والطب العربي والتراث العربي وقد غدت حقيقة واضحة وضوح الشمس وبديهة لا تحتاج الى اثبات أو برهان . العلم غدا عالمياً والتقنية ملك الجميع ومن حق الشعوب والأمم وكل علماء

---

(١) ألقي هذا البحث في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ، ٤ - ٧ / ٣ / ١٩٧٨ .

الارض أن يرتشفوا من رحيقها وينهلوا من عيونها وينابيعها سوى تلك العلوم الدقيقة والتقنيات الخاصة التي تحتكرها الدول المتقدمة . وتستفيد منها الدول بقدراتها وامكانات ابنائها وتطور لغاتها وامكاناتها لمواكبة ذلك التطور والتقدم وينصهر مع ابداعات ابناء تلك الشعوب وتمتزج مع علومها وتقنياتها واضافتها لتحمل صفة تلك الشعوب ، وكما قيل سابقاً ، الفكر اليوناني والفكر العربي والحضارة العربية . ومن ثم من هذا وذاك تظهر العلوم العالمية والحضارة الانسانية وان كان العلم من الاتساع والشيوع ليشمل العالم ، وانما الذي يعنينا ويهمنا ونقصده ونهدف اليه ما يكتب وينشر ويدرس باللغة العربية ، ومن ثم ما يضيفه ابناء العروبة من بحوث واختراعات واكتشافات علمية يضاف الى تراث الحضارة الانسانية ، واذا كان القصد من كلمة تعريب هو التدريس باللغة العربية ، فعلينا أولًا أن نوضح ولو بايجاز ما تعنيه كلمة تعريب والتي تعني اشياءً اخرى غير المفهوم لهذه الكلمة بهذا المؤتمر الذي جمع خير من يعنيهم الأمر ولنزيل الغموض واللبس اللذين ينحصران برأي ومفاهيم الكثير الذين غابت عنهم المعاني الكثيرة لهذه الكلمة في قواميس اللغة العربية . فالمقصود العام الذي يدركه ويفهمه عموم الناس وجلّ المثقفين – ولكن حتماً لا يغيب عن أذهانكم جميعاً لأنكم ابناء بجدتها أدباً وثقافة ولغة ، فاستميحكم عذراً وأنا أتكلم للعام وليس الخاص ، وأنتم تمثلون قمة الخاص في الأدب واللغة ...

وهكذا فان كلمة (تعريب) تعني لغوياً ادخال الكلمات الأعجمية بلفظها الى اللغة العربية – لا أكثر ولا أقل – . فهل هذا هو القصد والهدف والغاية من هذا المؤتمر ؟ أم ان الذي ادركه من سير الحديث والنقاش والمنهج بأنه شيء آخر ويعني تدريس العلوم باللغة العربية .

فقد جاءت في المعجم الوسيط : « التعريب : صبغ الكلمة بصيغة عربية عند نقلها بلفظها الى اللغة العربية » .

وجاء في لسان العرب المحيط : « تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها فتقول : « عربته العرب وأعربته » وكذا يدل معنى الكلمة على معان كثيرة مغايرة في كلام العرب ، فمثلًا جاء التعريب والاعراب معناهما واحد وهو الاباتة . والتعريب ما قبح من الكلام . وتعريب المرأة للرجل « تغزلت » ، والتعريب : قطع سعف التخل وهو التشذيب .

وجاء في تاج العروس[٢] : « وقيل تعربوا أي صاروا اعراباً بعد أن كانوا عرباً » .

والتعريب : تقبيح قول القائل ... وقال شمر : « التعريب أن يتكلم الرجل بالكلمة فيفحش فيها أو يخطىء » .

« وتعريب الاسم الأعجمي أن يتفوه به العرب على منهاجها » .

والتعريب أن نتخذ فرساً عربياً ...

وجاء في لسان العرب لابن منظور[٣] : قال الأزهري : « الاعراب والتعريب معناهما واحد وهو الابانة . والاعراب والتعريب والعربة - ما قبح من الكلام ، وقد يكون في مواضع اخرى ردك الرجل عن القبيح » .

واما حديث عمر بن الخطاب - رض - « مالكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس ، أن لا تعربوا عليه » . في حين يذهب ابي الاعرابي « التعريب - التبين والايضاح في قوله من الحديث الشريف : الثيب تعرب عن نفسها » .

والتعريب المنع والانكار . وقيل الفحش والتقبيح من عرب الرجل الجرح اذا فسد . وقال ابن سيدة « وتعربت المرأة للرجل : تغزلت » والتعريب الاكثار من شرب « العَرِب » وهو الكثير من الماء الصافي . والتعريب قطع سعف النخل وهو التشذيب . وجاء في الصحاح للعلّامة الجوهري « التعريب هو صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي الى اللغة العربية » . هذه اشارات صريحة وواضحة الى معاني التعريب كما جاءت في بطون قواميس اللغة . فأي نوع من التعريب نبغي وتبغون ؟ وما هو الاسلوب الذي نقصده وتهدون اليه ؟. والسؤال الذي يطرح نفسه سواء أكان الموضوع تعريب العلوم ، وعروبة العلوم أم عروبية العلوم هو :

لماذا صلحت اللغة العربية ونهضت بهذه المهمة قبل ألف عام ، وتعجز الآن عن مسايرة الركب العلمي والتطور الحضاري !

لقد تكلم علماء كثر وسيتكلم اعلام أكثر عن التعريب . وربما اتجهوا الى عوائق التعريب ومشكلاته وتعقيداته . والذي اعتقده وأقوله واصرح به مع

---

(٢) تاج العروس ، ج ١٠ ، ص ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٣) ابن منظور - لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٨٨ .

نفسي ومع الاخرين ، ان اهم عائق في عروبية تدريس الطب والعلوم الاخرى .. هو خوفنا من أنفسنا وترددنا بلا مسوغ بهواجسنا وهي مجرد أوهام نحيطها نحن بهالة من المخاوف والشكوك . فاذا تجاوزنا عقدة الخوف هذه فان كل شيء يسير في طريقه الواضح ونهجه السليم . والعائق الثاني الذي اعتقده وأتمنى أن أكون مخطئاً - ولست على ما أظن بأن الاصابع الخفية التي تلعب بمقدراتنا مهما كان مصدرها شرقيها أم غربيها - وهي تحاول دائماً وأبداً أن تشكك بقدراتنا وامكاناتنا وتحاول أن تطمس معالم هذه الامة ومسخ حضارتنا وهد كيانها بالقضاء على لغتها أو تحجيمها وزعزعة الثقة بين أبنائها .

فالصراع صراع حضاري وتتخذ القوى المضادة كل الأساليب الخبيثة وغير المشروعة للنيل من أمة العرب والاسلام وتحطيم كيانها ودثر ماضيها والقضاء على مستقبلها . ولذا استهدفت اللغة العربية لأنها اللسان المعبر عن فكر وروح هذه الأمة . ولا أخطر على الانسان من أن تفصل بين روحه وجسده ، بين عقله وانفعالاته ، فاللغة هي واسطة التعبير عن فكر هذه الأمة وعقلها وسجل حضارتها وعلومها . فالانسان يفصح عن نفسه وعن ذاته وما يجول في عقله من أفكار وآراء بوساطة التعبير - اللغة - ولا يمكن لمجتمع أن ينهض من غير نهوض وتطور لغته . فاذا قضي عليها ، أو أصابها الوهن والضعف ، ضعفت الأمة بل وأضمحلّت وانقرضت وذهب كيانها . نحن نتصور الاشباح ونرهبها ونصنع الهياكل ونقدسها ونقيم الأصنام ونركع لها ونخلق المعوقات ونطلب الحلول لها ، نتصور الصعوبات ونتحاشى خيالها .

ان المعوقات والصعوبات التي تقال لا أظنها عفوية وانما مقصودة وهي أقوال حق اريد بها باطل . ان العجز الحقيقي كامن في شخصياتنا وذواتنا . والوهن والضعف مسيطران على نفوسنا . ومن هنا خلقنا الأعذار الواهية والمسوغات السقيمة .

علينا أن نبدأ العمل والانتاج والعطاء وهي المقاييس الثابتة والمعايير الرصينة في تقدم الشعوب ونهضتها ومشاركتها الركب الانساني مسيرته .

« ان قطع ألف ميل يبدأ في قطع الميل الأول بل الخطوة الأولى التي نخطوها على الطريق » .. هكذا قال حكماء الصين . ولذا فان الاكثار من عقد

المؤتمرات واصدار القرارات لا تجدي التعريب نفعاً .. ولما نزل عند مرحلة تعريب أو ترجمة أو نقل أو عروبة أو عروبية العلوم .. واترك هذا لعلماء اللغة وفقهائها - لأن لكل كلمة معناها ، وسواء أكان هذا أم ذاك ، فان استعمال لغات الآخرين في التدريس وكتابة العلوم ، هي مرفوضة أصلًا وشكلًا ، موضوعاً واطاراً .

لقد كثر النقاش والجدل في شيء بديهي لنتدارس ونخطط ونعقد المؤتمرات العلمية وكتابة البحوث ونناقش ما ننتجه وما نقدمه لأمتنا وللحضارة الانسانية حيث اندثر عصر التبعية الثقافية والاستعمار الفكري والتمزق اللغوي بين أبناء الشعب الواحد . لأن أقرت حدود وانشئت دويلات فان الكلمة العربية والعلم العربي والفكر العربي والثقافة العربية هي العليا وعليها أن تجتاز تلك الصور الهزيلة في الأدمغة والحدود والتي افتعلها الاستعمار ورحب بها المنتفعون .

ان الحضارة العربية الاسلامية واحدة سابقاً وحاضراً ومستقبلًا ولا يمكن لهذه احضارة أن تستمر وتزدهر الّا وان تعمل اللغة الواحدة على احتوائها والتعبير عنها .. اما أن يكون لغة انجليزية هنا ، وفرنسية هناك وروسية في مكان آخر واسبانية وايطالية . فهذا هو التمزق والضياع وهو التبعية بأبغض أشكالها . ومن التعصب المقيت وضحالة الفكر والضعف أن ينشط البعض ويحاصر اللغة العربية ويضرب حولها نطاقاً حديدياً صلباً خوفاً من أن تدخلها بعض الكلمات الأجنبية مهما كان مصدرها .. فلا توجد لغة في العالم لم تدخلها مفردات من لغات اخرى . فلا خوف اطلاقاً على اللغة العربية من أن تؤثر عليها اللغات الاخرى . فاللغة العربية من اغنى لغات العالم ، والتراث العربي الاسلامي قادر على أن يغنينا بحصيلة ضخمة من المفردات والمصطلحات والمسميات . ومع هذا فلا ضير هنا أن نستعمل الفاظاً أعجمية حين لا نجد ألفاظاً عربية تغني غناءها - وهذا جداً قليل - على شرط أن نقتصد بالضرورة القصوى في هذا الاتجاه حتى لا نخلق لغة اخرى متداخلة مع لغتنا العربية .. وهذا هو المعنى الدقيق لكلمة التعريب . وقد حدث فعلًا شبيه بهذا عندما ترجم اسطيفان بن باسيل - كتاب « بوسقوريدس » في عهد المتوكل ، وكانت الترجمة غير دقيقة (ركيكة) فالعقاقير التي لم يعرف لها أسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني - لأنه أنجز عملًا في

وقته - ما كان معروفاً من مفردات ومسميات ومصطلحات ، ولكن بعد مدة وجيزة من الزمن بعث الله بعده من كان أوفر حظاً في معرفة المصطلحات ومفردات الكلمات ، وهكذا ترجم الكتاب مرة اخرى بصورة أدق من قبل « حسان الناتلي » استاذ ابن سينا .

فالكلمات الثقيلة والتي لا يقبلها الذوق العربي ولا تقبلها اللغة تسقط وتحل محلها الكلمات العربية الأصيلة أو الكلمات العربية التي تتماشى وقواعد اللغة العربية . ولا تشكل تعقيداً أو تشويهاً في الاستعمال - كما اختفت كلمات كثيرة كانت سائدة أيام زمان « شمندفر - طرومبيل - والربل - وكويلز » وحلت محلها « القطار والسيارة وعربة وقطار » .

وكذا اختفت قبل ذلك الكثير من الكلمات التركية التي حاول المستعمر فرضها - بعملية تتريك محجوجة ومكشوفة - والآن يحاول الاستعمار أن يفرض لغته ولكن بأساليب مغايرة ..

وغداً ستختفي كلمات اخرى سائدة حيث يوجد ما يغني عنها من كلمات عربية مثل كلمة « الببلوغرافيين العرب » وتحل محلها « مؤتمر الوثائقيين العرب أو المسجلين العرب أو المفهرسين » وكذا كلمات يتحذلق البعض بها مثل الاستراتيجيا أو الايديولوجيا أو مايكرابيولوجي والاكاديمي و ... . حيث يوجد ما يقابلها باللغة العربية أو نأخذ الكلمات الأجنبية ونحورها الى اللغة العربية في حين أصل تلك كلمات عربية - على سبيل المثال لا الحصر - كلمة الكيبلات ، حيث ترجمت الى القابلوات ، وهي الأسلاك الكهربائية في الوقت الذي كانت مأخوذة من كلمة الحبال العربية أو - الكبل - وهي عربية أيضاً . والكبل ضخم وجمعها كبول فيقال « مكبل بالحديد » . ففي الحديث الشريف « ضحكت من قوم يؤتى بهم الى الجنة في كبل الحديد » ... وفي قصيدة كعب بن زهير ..

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يُفدَ مكبول »

كنت مؤخراً في مؤتمر عمان - ونحن جلوس في الحافلة - وقد طال الانتظار واذا بمسؤول الحافلة يطل وهو يقول : آسف تأخرنا وان كان الباص مكندش . ولم أفهم القصد الى أن شرح الذي بجانبي وقال يقصد ان الحافلة مكيفة الهواء . وهذه الكلمات دارجة هنا .

ولذا فلا بد من موازنة دقيقة بين اختيار الكلمات العربية ، وبين اختيار الكلمات الضرورية الواجب تعريبها وبخاصة أسماء الاعلام وأسماء الأجهزة الحديثة ومفردات الأدوية ، وبعض أسماء الأمراض والتي لا يوجد ما يماثلها من الأسماء العربية أو قد يصعب اختيار أسماء عربية لها .

اما أن نقف ونتعصب لها ولا همّ لنا الّا منع التعريب أو الدخيل أو تطويع بعض الكلمات الى لغتنا بالرغم من دخول ما يشابه ذلك في تراثنا الطبي السابق وما تفرضه الحاجة الماسة في وقتنا الحاضر وما اوجبته النهضة العلمية الحديثة حيث غدت الاكتشافات والاختراعات تطفر بسرعة مذهلة .. وانه الانتحار الثقافي والتقني ، أن نقف لنشكل سداً أمام الحضارات والعلوم الحديثة من أن تهب برياحها الخصبة على أمتنا .. ولا يمكن أن يتم بتبادل حضاري سابقاً أو لاحقاً من غير ان يرافقه تبادل وتزاوج كلمات وبخاصة كثرة المصطلحات والتي سبقت وتسبق أنشطة جميع المجامع اللغوية في وطننا العربي .. وهذا معناه ان علماء غيرنا تفوقوا على لغويي أمتنا ومن حق العالم ومن حق المخترع والمكتشف أن يسمي علمه واكتشافه واختراعه بالاسم الذي يراه مناسباً له . فاذا ما تواجد العلماء في بلادنا وتواجد المكتشفون والمخترعون وعندما ينشط فقهاء اللغة العربية وتسبق المجامع اللغوية العلماء فعندئذٍ ستعم المسميات العربية وتكثر المفردات والمصطلحات العلمية والتي ستغزو اللغات الاخرى وكما حدث سابقاً في تراثنا العلمي . ولا توجد لغة من لغات العالم الّا وقد دخلتها كلمات عربية أصيلة قديماً وحديثاً ولا يعيب اللغة أن تأخذ بعض الكلمات العلمية من اللغات الاخرى ، مع العلم ان في اللغة العربية منافذ ومنابع لاشتقاق الكلمات لا ينضب معينها مثل الصرف والنحو وفيه فصل خاص لاسم الآلة وعلم البيان والبديع والتشبيهات والكنايات والاستعارات والنحت . ويمكن أخذ كلمات اخرى على طريق المجاز من منابع اخرى المذكورة والسماعية والقياسية .

وان التراث العربي الاسلامي هو أغنى تراث خلفته الأجيال الماضية بالرغم مما أصابه من تلف في الماضي وجفاء في الحاضر ، وما تزال مكتبات العالم الخاصة والعامة تزخر بأمهات الكتب والمخطوطات والفهارس . ويشمل تراثنا جميع ما خلفته الأجيال السابقة من العلماء والكتّاب والفلاسفة من آلاف المخطوطات والكتب والرسائل ولا يحتاج الّا ان يجرد ابناء العروبة عن

ساعد الجد لنشر مكنونات بطون الكتب تلك من ثروات علمية وفلسفية وفقهية ولغوية وجميع ضروب المعرفة . وكما ان اللغة هي الاطار الذي يحوي فكر الامة ولسانها الناطق على مدى العصور ، وان حياة الأمة وقيمتها التأريخية تقاس بنشاطها الحضاري وتراثها الذي هو الجهد المتواصل الذي يقدمه ابناؤها . وان حاضرنا المضطرب الذي تعصف به التيارات المتضاربة الظاهر منها والمخفي ، المعلن عنه والمستتر ، الكاشف عن انيابه الكالحة .. والذي يدسّ السم بالعسل . جميعها تترك الشباب لأن يعيش في حيرة قاتلة وفراغ مخيف واضطراب ذهني مفزع . وما لم نعد اليه ثقته بنفسه وماضيه وبارتكازه على حضارة ممتدة جذورها في أعماق التأريخ وتراث خالد خلود الدهر . ففي احياء التراث نحمي ماضي امتنا وفيه دعم لمعنويات الشباب الحائر وتركيز لأصالة قوميتنا العربية ، واظهار دورها التأريخي . وفيه افحام لتلك الأفواه المتشككة في قدرة العقل العربي على الخلق والابداع واغلاق الطريق أمام الألسن المختلفة بعدم كفاءة اللغة العربية باستيعاب العلوم الحديثة . ومن ثم فان احياء التراث واظهار المعاجم والمؤلفات ونشر المصطلحات المنسية والأسماء المهملة تسهيلًا لعملية تعريب العلوم ودفعاً لحركة الترجمة والتأليف . لأن العلماء العرب برزوا في كل ناحية من نواحي المعرفة ، وان عبقرية العلماء المسلمين أغنت الدنيا بأفكارها واكتشافاتها وعطائها الثر .. وكانت اللغة العربية لغة ناطقة لتلك النهضة ، بها دونت علومها وقدمت للعالم تراثاً حضارياً لا يمحوه الزمن . وان ما خلفه العرب من هذا التراث فيه تسهيل لعملية تعريب أو عروبية العلم . فقد بدأ علماء العرب بداية أولية بسيطة ومن ثم ابتكروا الأساليب في النقل والاختيار والترجمة ووضعوا المصطلحات واختاروا الكلمات والتعاريف – ونحتوا واشتقوا ومزجوا وركبوا واستنبطوا – وتركوا بعض المسميات والمصطلحات بمسمياتها بعد أن هذبوها وسهّلوا النطق بها وبما ينسجم وسلاسة اللغة العربية اضافة الى ما اكتشفوه من علوم واخترعوه وابتكروه من انجازات ، وهكذا سارت عمليات النقل والترجمة مع التأليف جنباً الى جنب وتطورت اللغة ونمت وازدهرت مفرداتها . وما علينا الّا أن نسلك أثرهم في اختيار المصطلحات التي وضعوها ونقتفي أثرهم في انتقاء الكلمات ، فهم تقدموا علمياً وطوروا اللغة لتواكب التقدم العلمي لأن جمود اللغة معناه جمود الفكر .

ويحدث التوسع في اللغة العلمية بأساليب شتى لتغير المسميات العلمية سواء للصورة أو للشكل أو الصفة أو الوظيفة أو المعنى أو الصوت .

ويتطرق الاستاذ الحكيم كمال السامرائي حول هذا الاسلوب[4] بمحاضرته التي ألقاها في نفس المؤتمر مشيراً الى أن بوادر التعبير عن الحالات المرضية عند العرب هو استعمال المصطلحات التي كانوا يطلقونها على الحالات غير الطبيعية في ابلهم وخيولهم أو ما يرونه على أرض صحرائهم وتطبيقها على الحالات غير الطبيعية المماثلة التي تطرأ على أنفسهم فاطلقوا على الحالات المرضية التي تظهر على سطح أجسامهم اسم « الجدري » وهو مصطلح كانوا يطلقونه على الأرض التي تجدر أي تنتفخ بالماء الناضح من تحتها ، وأطلقوا مرض « الحصبة » مأخوذة من الأرض الحصباء ، أي ذات الحصى ، وسموا التخمة في المعدة « البطنة » مشتقة من البطن وهي الأرض المستوية ، وأطلقوا على عطل الأمعاء وانقطاعها عن اخراج الغائط « الحصر » ، وعلى احتباس البول عند الشيوخ « الأسر » ، وأطلقوا على تضخم الرجل والقدم « داء الفيل » ، ولا يزال هذا التعبير شائع الاستعمال بالعربية والانجليزية . وسموا المرض الجلدي الذي يتساقط منه الشعر من فروة الرأس « داء الثعلب » لمشابهة ما يفعله الثعلب من العبث بالمزارع ، كما يعرف من الثعلب تساقط شعره في كل عام بالكيفية التي يتساقط فيها الشعر في المرض الذي نتكلم عنه . وكذا كانوا يطلقون تعبير « اليرقان » على الزرع اذا اصفرّ بسبب آفة تصيبه فأطلقوا نفس التعبير على حالة الانسان الذي يصاب باصفرار في جلده أو في بياض عينيه[5] .

وهكذا نجد ان العرب الأوائل بشكل عفوي وببساطة يأخذون المسميات القديمة والتي كانت شائعة مجازاً ليطلقوها على صفات الأمراض وأعراضها وأوصافها . وبهذا الاسلوب المبسط تكثر مفردات اللغة وتنمو وتعيش كلمات

---

(٤) أضيفت هذه الفقرة مؤخراً ولم تكن في أصل محاضرتي سنة ١٩٧٨ .

(٥) الحكيم كمال السامرائي : المصطلح الطبي في التراث العربي - مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي . ٤ - ٧ / ٣ / ١٩٧٨ .

وتتداول بدلًا من أن تختفي ويصيبها النسيان .

وكذا لجأ العرب الى اطلاق مسميات على أقسام جسم الانسان وعضلاته وأوتاره وعظامه من شكل تلك العضلات أو طبيعتها أو وظيفتها ، أي انهم اجتهدوا واستخدموا مفردات التراث ومسمياتها بدلًا من أن يهملوها أو أن يلجأوا الى المسميات الأجنبية الدخيلة ما دام هناك كلمات مستعملة .

سمى العرب عضلة الكتف بالدالية لأنها تشبه اشارة الدلتا △ في الهندسة ، وسمى الأطباء العرب الوريد الصافن في الساق لركود الدم فيه مقارنة مع جريانه بقوة ، كما هو الحال في الشريان ، وأخذه الغرب وأسموه - سفنس - ونأخذه نحن عنهم ونسميه - سفنس - بالتعريب وليس الوريد الصافن باسمه العربي .

وكذا استعمل العرب المصطلح - الوتر الشايل - لأنه يرفع عقب القدم عن الأرض وأسماه الغرب - اكيلس - نسبة الى الطبيب الروماني الذي وصفه « أخيلس » ونأخذه نحن ونسميه الوتر الاشيلي أو الاكليلي ، وحتى أسماه البعض الوتر الاحليلي ، ولم نسمه كما أسماه العرب بالوتر الشايل . وكلمة - تكنولوجيا - الواسعة الانتشار والاستعمال وسميت معاهد وجامعات باسم تكنولوجيا ، ولكن لو رجعنا الى أصل هذه الكلمة لنجدها عربية صرفة وهي مأخوذة من كلمة « تقن » ومعناها تفقه بالشيء وأحاط به وتعلمه ، وأخذها الاغريق عن الكنعانيين وأسموها - تكنو - ومن ثم اضافوا اليها « لوجي » معناها « علم » وغدت « تكنولوجيا » وأخذناها نحن على علاتها وأطلقنا على جامعاتنا ومعاهدنا واذاعتنا وصحافتنا ، ولا أدري لماذا لا تقول جامعة العلوم التقنية - والمعهد التقني - ومجلة التقنية ...

واستعمل العرب الكثير من الكلمات القديمة بعد احيائها واعطائها مسميات اخرى حديثة . كلمة - الخف - للتعبير عن أي نوع خفيف من الاحذية وهي مأخوذة من خف الجمل « البعير » و« البرق » من البريق واللمعان والدالة على السرعة لأنه خاطف للبصر . و « الجمهور » الكلمة الواسعة الانتشار ويدل معناها الحديث على تجمع اعداد كبيرة من الناس ، ومنها ما أخذت جماهير وتجمهر وجمهرة وجماهيرية . فكم هم الذين يعرفون ان أصل الجمهور مأخوذة من تجمع الرمل الكثير المتراكم ؟

والجريدة – الصحيفة – وهل يخطر على ذهن الكثير بأن أصل الكلمة – جريدة – معناها قديماً سعف النخل بعد تجريدها من الخوص . وكلمة شجاع وشجاعة والتي تعطي صفة البطولة والاقدام ، فانها أخذت من صفة الشجاع وهو القوي من ذكور الأفاعي .

وهناك كلمات لا حصر لها ولا عد من الكلمات العربية القديمة التي أخذت واطلقت مجازاً على معانٍ دالة على مسميات لأشياء لها نفس الخاصية أو مقاربة منها أو لمعانيها السابقة ، كالهاتف والضابط والسيارة والقطار والمهند والصارم والعقيد والكردوس والكتيبة والعريف . فكم هم اولئك من المعنيين بشؤون التدريس والمشرفين على عروبة العلوم وقالوا بالصعوبات والمشاكل التي تعتري عملية تعريب العلوم والنقل والترجمة لو رجعوا الى كتب التراث في الطب والصيدلة والهندسة والكيمياء والنبات والحيوان والرياضيات والفلسفة وكافة ضروب المعرفة ، لدهشوا بأن يجدوا تراثنا العربي يزخر بالكلمات والمفردات والمصطلحات العلمية التي تصلح أن تكون قاعدة رصينة لعملية التعريب ، ويعجب المرء بالطرق السهلة والأساليب العلمية والعملية والمياسم المطروقة التي أخذ بها علماء الترجمة ورجال الطب والفلسفة .. ليحققوا أكبر طفرة نوعية في نقل العلوم من اللغات التي كانت سائدة آنذاك ، الاغريقية والهندية والسريانية والرومانية الى اللغة العربية . ومن ثم جاء في اثر ذلك سيل من التأليف والبحث والعطاء . وهكذا كان سجل التراث الماضي باللغة العربية التي حفظته ومن ثم نقلته الى كافة الأمم والشعوب .

ما قيمة المكتبات والمؤلفات وحتى المختبرات ان لم تؤد الفائدة الموجودة منها في التطبيق العملي فانها وسائل للدرس والبحث واستقصاء الحقائق ، وتكمن قيمتها الحقيقية في الافادة منها . فقد يستطيع المرء أن يكون مطلعاً على علوم الأولين والآخرين ومع ذلك يبقى متقوقعاً على نفسه لا يستفيد من علمه ولا يفيد الآخرين ووراء سراب الحياة .

والعرب في إبان نهضتهم كانوا عيالاً على مؤلفات الهند واليونان والرومان .. ولكن سرعان ما أصبحوا أساتذة العالم . ولم يكن ذلك لولا اعتمادهم على تعريب العلوم وبداية التفكير العربي والكتابة والتأليف باللغة العربية التي غدت لغة العلم والتخاطب ولغة الفلسفة والفلك والهندسة والرياضيات . وما نحن الآن إلا تلاميذ الغرب والشرق وسنبقى نتبع أساتذة

العلوم هنا وهناك . وربما انخدعنا وخدعتنا اللغة واستقينا مياهنا من غير الينابيع الصافية والعيون العذبة اذا لم ندرك هذه الحقيقة ونعتمد التجربة والبحث في منهاجنا الدراسي ونعتمد على لغتنا وفكرنا الأصيل وما تبدعه عقولنا من علم وفكر والّا سنبقى نلهث خلف سراب وفتات الآخرين . لقد آن الآوان أن نعلن الاعتماد العلمي على أنفسنا والفكري على ابداعاتنا والبحث العلمي طريقاً للعمل والجهد والنشاط اسلوباً في الحياة ، منطلقين من واقع علمي رصين وانتهال من كل العلوم وكل الحضارات لنصهرها مع علومنا وابداعاتنا وبذا تكون لنا ميزتنا ونهجنا واسلوبنا الخاص بنا . والعودة في الاسلوب الى أصل ثابت في التراث الخالد ، وان كنا استعملنا لغة الآخرين اضطراراً ، وفي ذلك كل مظاهر التبعية والتقليد من المغلوب اتجاه الغالب . وهذه حقيقة أشار اليها ابن خلدون قبل نحو من ستة قرون . وهذا ما يدفعنا ويساعدنا على التخلص من احتواء الحضارة الغربية لنا . واللغة العربية ليست صعبة كما يدعي البعض وبخاصة اللغة العلمية منها ، فهي واسعة في مفرداتها ، لينة في التصريف والاشتقاق والتركيب والاختزال ، وهي دقيقة في الوصف والتعبير ، وفي اللغة العربية مصطلحات لكلمات قد لا نجد ما يقابلها في اللغات الاخرى الّا مركبة وعلى سبيل المثال لا الحصر :

الدماغ	ENCEPHALON
فلقة الدماغ	CEREBRAL HEMISEPHER
الصلب « العمود الفقري »	VERTEBRAL COLUMN
المسيل « ضد التخثر »	ANTICOAGULANT
المرديات – المضادات الحياتية	ANTIBIOTIC
الصاد – الضاد	ANTIBODY
المستضد – مولد الضد	ANTIGEN
تعجز	SACRALIZATION
تقطن	LUMBARALIZATION
الظهار	BACKACHE- BACK PAIN
جسأة	OSTEOARTHRITIS
الرثية	RHEUMATOID ARTHRITIS
جنف	SCOLIOSIS

وقياساً على هذا واستدلالاً يمكن أن نصوغ العشرات بل المئات والآلاف من المسميات والمصطلحات ، وعصرنا هذا هو عصر الأجهزة والآلات ، وقد دخلت الأجهزة والمعدات الدقيقة في كل فروع الطب ، واذا ما استرشدنا بالاساليب المماثلة والقياس الذي اتبعه السلف فلا اعتقد ان هناك صعوبة أو معضلة تذكر وتأخذ المصطلحات غالباً صيغة مفعال للآلة أو المقياس ونقول :

محرار	THERMOMETER
مضغاط الدم	SPHYGMOMANOMETER
مخطاط السمع	AUDIOMETER
مخطاط العضلات	ELECTROMYOGRAPHY
مخطاط القلب	ELECTROCARDIO GRAPHY
مخطاط الدماغ	ELECTROENCEPHALOGRAPHY
مفراس	C.T. SCANNER
مصوار	GAMMACAMERA

وهكذا يقال قياساً – ميزان ، ومحراث ومهراس ، وعلى سبيل التجربة واستجلاء ردود الفعل ابتداءً ، اذكر أمثلة حية وعملية خضناها في الطبابة العسكرية . اننا تعاقدنا على بعض الأجهزة العلمية المتطورة واعطيناها اسماءً عربية قبل أن نجعل استعمال الأجهزة في متناول الناس – أطباء – وعناصر وسطية من فنيين وتقنيين ومرضى ومن خلال المخاطبات الرسمية . وكمثال على ذلك :

المفراس	C.T. SCANNER
المحلل الذاتي	AUTOANALYSER
المصوار	GAMMACAMERA

وكم كانت مدهشة وملفتة للنظر ان نجد الأسماء العربية هي الشائعة والمتداولة ، ولا أحد يذكر شيئاً عن مسمياتها الأجنبية ، وهكذا وبهذه الطريقة وبتحركنا السريع لاعطاء مسميات للأجهزة الحديثة مأخوذة من طبيعة عملها وقياساً على التفاعلات العربية نستطيع أن نحد من دخول الكلمات الغربية . ومع هذا فلا ضير من ادخال المسميات العلمية للأجهزة والأدوية والآلات بنقلها حرفياً الى اللغة العربية أو تحوير الأسماء بما ينسجم والذوق والحس اللغوي ، وذلك اذا ما عجز العالم والباحث والمترجم والمجاميع اللغوية من

ايجاد مسميات لها باللغة العربية وهذا ما يقصد به عملية التعريب . ولكن يجب أن يتم ذلك على أضيق السبل وبالاتفاق بين علماء الطب وعلماء اللغة ، ومن ثم لا بد من عملية تنسيق بين المجاميع اللغوية العربية . حتى لا يكون هناك اختلاف وتباين للمسميات الواحدة بالنسبة للأقطار العربية أو أن نستعمل كلمات قديمة لتعبّر عن مسميات حديثة ، وكما سبق وأشرت الى البعض منها . وكذا اطلق وبشكل جيد على فرامل السيارة ، البريك – الكابح – وهذا مأخوذ من كابح جموح الفرس ، وسوفان المفاصل أو الفقرات – الجسأة – وجهد المفصل SPRAIN – الوتأ – ، وميلان الصلب SCOLIOSIS – جنف – ، وتجمع الدم في القدم ECCHYMOSIS – القرضة – وأسماها الرازي – الرهصة – .

وكذا أخذت مسميات عربية مفردة في الأمراض مثلًا :

الفالج – شلل شقي – شلل نصفي	HEMIPLEGIA
الخذل – شليل نصفي	HEMIPARESIS
اللقوة	FACIAL PALSY
الزفان	CHOREA
الرهاب	PHOBIA
الوهن العضلي الجسيم	MYSTHENIA

وكذا تأخذ أغلب أسماء الأمراض وزن فعال :

ظهار	BACKACHE
ذهان	PSYCHOSIS
جلاد	DERMATOSIS
فصال	ARTHRITIS
كلاء	NEPHROSIS
قلاب	CARDITIS
رعاف	EPISTAXIS
زكام	COMMON COLD

وهكذا يقال – هزال وصداع وكباد ، واغلب الكلمات التي تعتقد بصعوبة تسميتها نجد ان علماء العرب قد اعطوها مسميات سهلة ومبسطة وكل ما تحتاج اليه التداول في الاستعمال والتعود عليها ، ولا اجدني في حاجة

الى ذكر المزيد من الكلمات والأسماء الحديثة والمتطورة . فانه بيسر وسهولة ايجاد مسميات لها من كتب التراث من الكلمات القديمة بعد بعثها من جديد أو اتباع اسلوب القدماء بالتسمية والقياس والنحت والاشتقاق أو على وضيفة الالة أو الجهاز أو خاصيته أو صورته أو حتى صوته . ومن ثم فاذا تعذر ذلك فانه لا ضرر من الاحتفاظ باسمه المبسط وكتابته باللغة العربية وبخاصة أسماء الأشخاص والأماكن والاعلام . أو أن نستعمل كلمات ولحين من الزمن وكما فعل الاسلاف وأطلقوا كلمة البيمارستانات . والان اختفت هذه الكلمة وحلت محلها كلمة « مستشفى » وكذا كلمة « دوسنطاريا » Dysentry وحلت محلها « كلمة الزحار » .

ونرى من الضروري الابتعاد كلياً عن تعقيدات اللغة ، لان لغة العلم تختلف عن لغة الأدب فلغة الرازي وابن سينا والزهراوي تختلف عن لغة الجاحظ ، ولغة ثابت بن قرة تختلف عن لغة أبي حيان التوحيدي ، وكتابة علي بن العباس تختلف عن كتابة عبدالحميد الكاتب أو عن كتابة ابن العميد . فلغة العلم يعبر بها ويشرح فيها مكنوناته ليفهمها العلماء ويعبّر بها الباحثون باسلوب سهل وكلمات مبسطة وجمل مفهومة يدركها الدارس والباحث ويعول عليها الطلاب ، وتمتاز ببساطة الجمل وسلاسة التعبير والشرح المستفيض دون زركشة أو تزويق ، وانما الهدف ايصال المعنى مباشرة الى ذهن الطالب والدارس . وعلى هذه اللغة العلمية المبسطة يعتمد في الشرح والدرس والترجمة والتاليف والنشر وبها تزدهر الحركة العلمية وتنمو اللغة وتكثر الكلمات والمصطلحات . ولغة العلم محصلة لعوامل كثيرة تتنازع تلك الأمة . أولها لغة الامة ومفرداتها وتراثها وثقافتها ومخترعاتها ومكتشفات ومبتكرات ابنائها وبحوث علمائها واصالتهم وسبقهم بالعطاء وتسمية تلك الأجهزة والأمراض والعقاقير بمسمياتها . « مرض بهجت » اعطي وانتشر عالمياً باسم الطبيب التركي بهجت الذي وصف هذا المرض أولا ، ومرض « ستل » نوع من أمراض المفاصل الذي يصيب الأطفال باسم الطبيب الانجليزي الذي وصفه لاول مرة ، وكذا يقال عن مرض « بوتس » و « رايتر » و « باجت » .

وكذا مدى الاعتماد على الاخرين بادخال أجهزتهم وحضارتهم الى تلك الامة وهذه تنقل معها تلك المسميات الاعجمية الى لغة القوم الاصيلة . والمهمة تغدو سهلة بسيطة اذا كان العالم متمكناً من لغته وتراثه وان المترجم

مستوعب لمفردات لغته ويتمكن بسهولة أن يختار الكلمات والمصطلحات والتعابير بشكل دقيق وسليم .

فاللغة الحية تسهل أمام الباحث أو المترجم أو العالم التعبير عما يحتاجه من مفردات ومصطلحات ليعبّر بها عن أفكاره العلمية ، وفي الوقت نفسه ، فان الاسماء العلمية الجديدة والتراكيب والتواليد والاشتقاق تزيد من نمو اللغة وثروتها وتطورها ولغة العلم تنمو وتزدهر وتتطور بالترجمة والنشر والاكتشاف والاختراع ، أي بالعمل الدؤوب المتواصل وبعكسها تضمحل وتتلاشى اذا اعتمدت على مسميات ومصطلحات اللغات الاخرى .

فالنهضة العلمية والحضارية التي نضجت وأينعت في العالم العربي وكانت منارة للعلم في القرن الرابع الهجري وضعت بذرتها من القرن الأول الهجري ، باعتمادهم الاسلوب الصحيح لمسيرتهم الثقافية والعلمية . والمدهش حقاً انه لم تكن يومذاك اذاعة ولا تلفاز ولا طباعة ولا أجهزة استنساخ ولا مواصلات مع تباعد العواصم الحضارية في ارجاء الوطن العربي .. وكان العلماء يتداولون المصطلحات نفسها والمسميات ذاتها في بغداد ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة والفسطاط .

ويرجع الفضل في ذلك الى الجهود الجبارة التي بذلها العلماء واللغويون على حد سواء ووضعهم المؤلفات والمعاجم الكثيرة الزاخرة بالمفردات [مفاتيح العلوم للخوارزمي ، التعريفات للجرجاني ، التذكرة للانطاكي ، مفردات النباتات الطبية لابن البيطار وغيرها ..] . ونحن امة كتب عليها أن تصارع عبر تأريخها من أجل البقاء والخلود . واللغة العربية تعايش هذا الصراع الحضاري وهي على مفترق الطرق ، فاما أن تقف بشموخ وتحدّ ، كما وقفت سابقاً ، واما ان تتلاشى وتموت – لا سمح الله – وبذلك يكون اضمحلالنا وموت الأمة . فلا يمكن لأمة أن تعيش من غير تفكير ومن غير لغة تعبر بها عن فكرها وعن ذاتها . فالانسان في وقتنا أصبح بأهدافه المرسومة وعلومه التطبيقية يغزو المجهول لاكتشافات علمية هادفة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واعلامياً . ونحن لما نزل لم نكتشف بل لم نحاول أن نكتشف تراثنا أو أرضنا أو بحرنا ، بل لما نزل لا جرأة لنا حتى في اكتشاف ذاتنا « وختاماً أجمل ما قلت » :

١ – علينا أن نحدد ، أهي عملية تعريب أو عروبة أو عروبية العلوم

والمقصود أن نتخذ اللغة العربية اللغة الأم عوضاً عن اللغات الاخرى في تدريس العلوم في الجامعات بما في ذلك كليات الطب والهندسة .

٢ - الى متى نبقى عالة على علوم الآخرين ولغاتهم ، ولم لا ننهض لتكون لنا علومنا ولغتنا واصالتنا .

٣ - علينا أن نشمر عن ساعد الجد ونعتمد على كتب التراث في اختيار المسميات التي سبقونا في الأخذ بها ونستفيد من الاسلوب الرائد في عمليات نقل العلوم .

٤ - احياء الأسماء العربية المنسية الملائمة لما نريد والتي أصبحت على وشك أن تموت أو غدت غريبة على ألسنتنا واعطاؤها مسميات حية .

٥ - الاهتداء بهدي الاولين والسير على خطاهم في النقل والترجمة والتأليف .

ولعل أصدق كلمة أنهي بها حديثي قوله تعالى :

﴿ لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة . وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ﴾[٦].

صدق الله العظيم

---

(٦) سورة التوبة ، الاية ٤٧ و ٤٨ .

تجارب الأمم ...

من هواياتي المحببة والتي أعطيتها حيزاً كبيراً من وقتي ومالي وجهدي - السفر - السفر شرقاً وغرباً . واعتقد بأنه قد اتيحت لي فرص كثيرة تنقلت فيها في مشارق الأرض ومغاربها ، لم تتح الا لقلة قليلة من زملائي الأطباء سواء أكانت تلك السفرات رسمية للكثير من الدول والاخرى سياحية وبعضها لحضور مؤتمرات طبية وحتى رياضية لفترة من الفترات ، وبعضها الآخر تمت ضمن وفود للمشاهدة والاطلاع وكانت اولى تنقلاتي وزيارتي وأنا شاب يافع داخل القطر من تكريت الى بيجي فحديثة . ومن ثم بغداد والديوانية للعمل أو للدراسة والكسب الحلال وبعدها زرت انكلترا مرات ومرات للدراسة والوظيفة كملحق طبي ولدورات وزيارات ومؤتمرات ومن ثم زرت أغلب دول اوربا من فنلندا شمالاً فالسويد فالدنمارك ونزولاً الى هولندا وبلجيكا وجيكوسلوفاكيا واتطلع لزيارة النرويج في يوم من الأيام . ولكن زرت المانيا الغربية مرات ومرات والمانيا الشرقية مرة واحدة والنمسا وسويسرا وتركيا واليونان وبلغاريا ويوغسلافيا وفرنسا وايطاليا ومن كندا الى الولايات المتحدة الاميركية ومن ثم البرازيل واسبانيا واتطلع لزيارة البرتغال . وزرت مصر وسوريا والاردن والسعودية والمغرب واحلم واتطلع لزيارة بقية البلدان العربية . وامتد بي السفر الى بانكوك وهونك كونك واليابان . وكنت اتطلع لزيارة استراليا ونيوزلندة والصين بعد أن زرت روسيا مرتين . وعندما أزور تلك الدول والبلدان والعواصم والمدن اعطي للزيارة حقها ، فأضع في منهاج زيارتي ابتداءً ، متاحفها الآثارية ومتاحفها الفنية ومكتباتها ، وليالي انسها وأسواقها القديمة والحديثة . وآخذ من هذا وذاك واعطي الزيارة حقها ولنفسي حقها من التعرف على أحوال الناس ومعيشة الناس وسلوك الناس وأنسهم وتمتعهم ومتاعبهم .

وأسأل وأتطلع واطلّع لأحصل من كل هذا حصيلة تستقر في خلايا الدماغ وتعرجاته وتلافيفه . وربما جادت الأيام بأن اسجل تلك المعارف والرحلات ومشاكل السفرات وحلو السفر ومره ، سعادته وتعسه ، في كتاب أو أقاصيص بعد أن استرجع ما كتبته على قصاصات ورق وما تجود به الذاكرة من خزينها سواء تلك التي محاها الزمن ، ربما اعانتني قصاصات الورق ، ربما اعانتني

النقوش المحفورة على القشرة السنجابية هنا وهناك في خزين هذه الآلة العجيبة التي أبدع الباري في خلقها وتركيبها وتعقيدها وأسماها « الدماغ » .
والذي يهمني الآن واحاول أن أجمع شتات الكلمات من بعد الذكريات واختصر المسافات الماضية لأستجمع بعض المعلومات التي تساعدني في مهمتي الآنية هذه . ان جميع تلك الدول التي اعانني الله على زيارتها وتلك التي اتطلع لزيارتها وقد تعرفت على وسائل التعليم منها بأنها تدرس علومها بلغاتها بل تعده واجباً مقدساً لا تحيد عنه قيد انملة ، ولا توجد هناك أصوات نشاز تدعو لتدريس العلوم بلغات اخرى ، بل انها تجده أمراً يدعو للتشكيك والحيرة والاستغراب ، لأن في ذلك انتقاصاً من استقلالها الوطني وعائقاً لتقدمها وتطورها . أنها قد تختلف بأفكارها السياسية وتطلعاتها الصناعية واسلوب تنفيذ برامجها الاقتصادي أو العمراني - أو بالأسبقيات التي توليها الدولة لهذا المشروع أو الآخر - وتناقشه باسهاب وتختلف وتتوافق - تتباين وتتطابق - تعلو الأصوات في البرلمانات وعلى أعمدة الصحف ، وتعلو تلك الأصوات وتخفت ، ومن ثم تنفذ ما تراه مناسباً . ولكن مسألة التعليم أو التدريس بلغة اخرى مسألة غير قابلة للنقاش ولا المساومة ولا الاجتهاد ، سواء أكانت تلك الدولة كبيرة كالصين أو الهند قوية ورأسمالية كالولايات المتحدة الاميركية وقوية وشيوعية كروسيا . دول تدور في فلك المجموعة الاشتراكية كبلغاريا ورومانيا وهنغاريا وجيكوسلوفاكيا وبولندا ، أو صغيرة لا يزيد تعداد نفوس ابنائها على خمسة ملايين كفنلندا أو أقل من ذلك بحدود المليونين كألبانيا وتايلند ، وصناعية عظمى كاليابان . جميعها تعلم وتدرس وتثقف بلغاتها الوطنية ولا يوجد اختلاف ولا وجهات نظر حول الأمور الجوهرية ، وانما الاختلاف والاجتهاد والنقاش والحوار على امور اخرى في السياسة والاقتصاد والغذاء واللباس والضرائب والنقل والسفرات السياحية .

وعنّ لي منذ عقد مضى أن أتحدث عن تجربة دولة من هذه الدول وأكتبه كحديث لاحدى المجلات أو أن القيه محاضرة في احدى المناسبات واخترت أن استشهد باحدى تلك الدول التي اطلعت عن كثب على تجربتها واسلوب عملها في نقل العلوم وتفاعلها المستمر بين ما يكتب وينشر في اللغات الاخرى وبين ما يكتبه ويبحثه وينشره ابناؤها .

ووقع اختياري على التجربة اليوغسلافية بالذات لأسباب كثيرة ، ربما

يأتي في مقدمة الأسباب تكرار زياراتي الرسمية لها . ووضع ضمن منهج الزيارة الاطلاع على مركز الترجمة ونقل العلوم في الطبابة العسكرية اليوغسلافية ، وهو شيء عظيم وجليل ناهيك عن الأساليب المتبعة الاخرى في الجامعات والوزارات ومراكز الصناعة والثقافة الاخرى . وما سأقدمه في الفصل القادم يشكل جانب الطبابة العسكرية فقط ، وتوجد مراكز مشابهة في صنوف الجيوش الاخرى .

وتأتي الأسباب بأني زرت يوغسلافيا سنة ١٩٦٢ ومن ثم سنة ١٩٦٨ و١٩٧٧ و ١٩٧٩ و ١٩٨٠ ، ولاحظت اسلوب الطفرات العلمية والاقتصادية والصناعية والعمرانية والتي حققتها يوغسلافيا بين كل زيارة واخرى .

وما شاهدته بواقعها المؤلم والمزري والمتخلف سنة ١٩٦٢ ومن ثم ما أصبحت عليه في السبعينات ومن ثم في مطلع الثمانينات انها حققت طفرات سريعة ومتواصلة ، لا يمكن اللحاق بها . فمن دولة صغيرة متخلفة يشوبها الاضطراب والفقر والجهل والانحطاط الاقتصادي والعلمي والعمراني ، فلا حضارة لها ولا مدنية تسايرها واذا بها بعد عقدين فقط من الزمان تغدو دولة عصرية متطورة علمياً وتقنياً وثقافياً وصناعياً . والذي اعتقده وهو افتراض مجرد كنت قد استشفته من خلال الأحاديث الجانبية للمرافقين أو الجانب الطبي اليوغسلافي ان مبعث ذلك هو التخطيط العلمي السليم واعتماد نقل العلوم والتقنية الى لغتهم الأم وبذا أصبح بمقدور العالم والاستاذ والمثقف والتقني والقارىء ، أن يقرأ ويدرس ويطلع على علوم وثقافات العالم ولم تقتصر الثقافة والعلوم والاطلاع على فئة معينة أو طبقة مختصة .

وثالثها ان يوغسلافيا لا تمتلك من التأريخ والتراث ما يملكه العرب فهي دولة حديثة لا ماضي يمتد في أعماق التأريخ ولا خلفيات علمية ولا مصطلحات ولا مفردات .

ورابعاً ان يوغسلافيا مكونة من قوميات عديدة ومقاطعات مختلفة ولغات متباينة بل وديانات كثيرة وطبقات اجتماعية متفاوتة . فاللغة الصربية هي السائدة ومركز ثقلها يرتكز في العاصمة بلغراد يعززها عدد نفوس الناطقين بها ولكن هناك البورسنة والهرسك ومركزها سراجيفو . ومنطقة الجبل الأسود

ومقدونيا وكورواتيا ..

ومع هذا وذاك فان عملية الترجمة والنقل تعطى أسبقية كبيرة ويعنى بها عناية خاصة وسارت جنباً الى جنب مع التصنيع والتعليم والتطوير .

وبذا كان هذا البحث المتواضع الذي قدمته وألقيته في مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي انعقد في بغداد خلال الأيام ٤ - ٥ - ٦ - ٧ /٣/ ١٩٧٨ .

التجربة اليوغسلافية في نقل العلوم الى اللغة العربية[1]...

ان الأمم كافة صغيرها وكبيرها تعتز بكيانها وتراثها وتدرس العلوم بلغاتها اعتزازاً بتلك اللغة وتقديساً لكرامتها وذاتها حتى وان كانت تلك الدول صغيرة لا يتجاوز تعداد سكانها بضعة ملايين وتأريخ حضاراتها لا يتجاوز العصر الحديث .

وهكذا نرى ما تفعله دول مثل تركيا وايران ويوغسلافيا وبولندا وهولندا وفنلندا وبلغاريا وكافة دول العالم . ونحن لما نزل نقلّد العلماء من الشرق والغرب ونستخدم لغات غير لغتنا ونضيف تراثاً الى غير تراثنا ، ونقتات علمياً على فتات موائد الآخرين . ولا اعتقد بصحة هذا الاسلوب ولا أظن ان أحداً يملك احساساً وطنياً ونظرة مستقبلية لأمتنا وغيرة على لغتنا العربية يقبل هذا الّا أن يكون في نفوسهم مرض أو أن تبهره المدنية الغربية ومظاهرها وقشورها ولا يملك من الاحساس العميق والبعد الدفين لأغراض اولئك المنادين باستمرار التدريس بلغات اخرى غير العربية . لأننا سنكون مشلولي التفكير ، مقلدين غير مبدعين ونلهث راكضين خلف سراب الفراغ وجرياً على المقولة القائلة « المُقلد دون المقلَد درجة وأقل منه رتبة » .

ان النهضة العلمية العربية الاسلامية التي بلغت أوج نضجها وأصالتها في القرن الرابع الهجري ، ما كان لها أن تنمو وتزدهر وتخلد عبر التأريخ لو لم تنظم حركة النقل وترجمة العلوم السابقة من الشرق والغرب الى اللغة العربية . بدأ بها خالد بن يزيد بن معاوية ، وبلغت اوج نضجها وتنظيمها وعطائها في عصر الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد . وتفرغ اناس عاملون في بيت الحكمة وكانت تختار أمهات الكتب العلمية والطبية والفلك والحيوان والنبات

---

(١) أُلقي هذا الحديث في مؤتمر التعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي انعقد في بغداد ، ٤ - ٧ / ٣ / ١٩٧٨ .

والمنطق والفلسفة والرياضيات والهندسة والكيمياء . واعطيت أسبقية كبيرة للعلوم على كتب الأدب والفن . ولم يكتف العرب بما نقل الى لغتهم وانما تعلم عدد غير قليل فيهم اللغة اليونانية على الخصوص ليستقوا منها علوم اليونان ثم تعلموا في اسبانيا اللغة الرومانية واللغة القشتالية . وكما تشهد بذلك امهات الكتب المخطوطة المدخرة في مكتبة الاوسكريال من المعاجم العربية اليونانية أو العربية اللاتينية والعربية والاسبانية والتي نظمها وألفها علماء من المسلمين .

وبرز فيهم أعلام في ترجمة تلك العلوم منهم حنين بن اسحاق ، وثابت بن قرة وحبيش بن الأعسم وقسطا بن لوقا ويوحنا ابن بختيشوع ويحيى بن عدي التكريتي وغيرهم كثر . كما ان النهضة الاوربية الحديثة ما كان لها أن تزدهر وأن تنمو لولا اعتمادها على ترجمة العلوم العربية الاسلامية الى مختلف اللغات الاوربية ، ولو لم تعتمد تلك التراجم على الدقة في انتقاء المؤلفات والكتب المختارة لنقلها الى لغاتهم وقبل الاهتمام باسلوب الترجمة ودقتها . وهكذا ظهرت عدة تراجم للكتاب الواحد منها الدقيق ومنها الركيك ، ومنها منحول الى أشخاص المترجمين أنفسهم من غير ذكر اسماء المؤلفين العرب . ولكن لا بد للحقائق أن تظهر ولو بعد أمد من الزمان .

وهكذا كانت مراكز الترجمة في طليطلة ونابولي وصقلية وبروفانس واستانبول . فمنذ سنة ١١٣٠م بدأ مكتب للترجمة في طليطلة بنقل العلوم تحت اشراف رئيس الأساقفة « ريمون » فصار ينقل أهم كتب العرب الى اللغة اللاتينية ، وتكللت أعماله بالنجاح ، الأمر الذي وضع الغرب على أبواب عالم جديد واستشراف أمل قريب . واستمر أمر الترجمة في القرن الثاني عشر وكذا الثالث عشر والرابع عشر للميلاد .

ويعد عصر الامبراطور فردريك الثاني عصراً هاماً بالنسبة للنهضة الاوربية . وقد بدأ ذلك في نقل المعارف العربية الاسلامية الى غرب اوربا ، وقد جمع فردريك الثاني بحكم سيطرته على جزيرة صقلية مجموعة كبيرة من الكتب العربية في مختلف العلوم والمعارف ، وعكف مترجموه على ترجمتها الى اللغة اللاتينية ، وجمع ببلاطه ببالرمو عدداً كبيراً من المترجمين أمثال ميخائيل سكوت وتيدور الانطاكي وغيرهم .. وهكذا تم تقدم الأمم الاوربية وتطورها ووضع الأسس الرصينة لانطلاقها وتقدمها وذلك بالتخطيط العلمي

الدقيق والاختيار الصالح للثقافة العامة والعلوم المفيدة . ولا اعتقد ان أمة تمر بفوضى في التأليف والترجمة أكثر من امتنا في وقتنا الحاضر فان الكتب الرخيصة المحتوى ، الغالية التكاليف ، الواسعة الانتشار هي التي تحتل أسواق الكتب ودور النشر الراكضة وراء الربح المادي ، أو انها معززة ومسندة بحقد وأهداف مغرضة أو باتجاهات سياسية موجهة تغدق الكثير على نشر تلك الكتب ، كتب الجنس والحب الرخيص والقصص البوليسية وقصص رعاة البقر . ونجد الرغبة والاقبال من الكثير من شبابنا الراكض وراء سراب الحياة وهامش المجتمع ليعيش في فراغ دائم يستسهل السهل ويستمرىء البسيط ، يلتذ في ساعات يومه غير آبه بغده القادم أو مستقبل جيله أو مصير أمته ، فلا يتعب ذهنه ولا يجهد جسده في التحصيل العلمي وكما عبر المثل العربي « السهل مركبه وطيء » .

في وقت نرى ان الدول التي تسعى الى بناء ذاتها تصارع من أجل أن تحتل مكانها في التأريخ والعالم ، معتمدة على نفسها في تخطيط مستقبلها العلمي وتوجيه ابنائها التوجيه الصحيح والارشاد الصائب .

واتيحت لي فرصة التعرف على الكثير من شعوب العالم وشاهدت عن كثب كيف تعمل بجد ونظام واخلاص وتتلاحم في داخلها القوى الثلاث [الاخلاص - العلم - العمل] .

وهذه الأمم والشعوب حتماً بالغة اهدافها ، ولعل ما لاحظته من تجربة رائدة في طبابة القوات المسلحة اليوغسلافية ، وهي دولة نامية ومحدودة الامكانات المادية والعلمية والخلفية التأريخية .. ولكن باعتمادها على ذاتها وعزم ابنائها والتخطيط العلمي الدقيق مكّنها من أن تخطو خطوات رائدة على الطريق ووجدت من المفيد أن القي حزمة من ضوء على تلك التجربة في نقل العلوم الطبية من مختلف لغات العالم الحية الى اللغة الصربية معتمداً في ذلك على مشاهداتي الخاصة للمركز المكلف بنقل العلوم الطبية ، وعلى المحاضرة القيّمة التي ألقتها أمامي رئيسة المركز الاستاذة الدكتورة العقيد أنيس وسلي تاناسكوفيج . وكذا على بعض المصادر والمحاضرات التي اتيحت لي مطالعتها بعد أن ترجمت من اللغة الصربية الى اللغة الانجليزية ، ولذا استميحكم العذر ان كانت هذه التجربة لم تقدم من قبلي بالمستوى الذي يليق بها .

تعريف : المعهد عبارة عن مركز طبي عسكري تتألف عناصره المشرفة والمنظمة والمنسقة لعمله من مدير المعهد ، وكانت مديرة تحمل لقب استاذة ، وفي الوقت نفسه تحمل رتبة عقيد طبيب في الجيش اليوغسلافي وتتكلم اللغة الانجليزية بطلاقة ، يعاونها عقيد طبيب وعقيد صيدلي وخمسة مسجلين .

وهؤلاء يشكلون نواة لشبكة واسعة من المساهمين في العمل ، وفي الوقت الحاضر « ١٩٧٧ » مائة وعشرون خبيراً يمثلون مختلف فروع العلوم الطبية وجميعهم يعملون في دراسة البحوث والدراسات ، وهناك رئيس تحرير طبيب متفرغ للعمل والاشراف على تحرير المجلات الطبية العسكرية وعددها ثلاثة ويعمل معه محررون غير متفرغين وانما يعملون جزئياً أو انهم متبرعون للعمل . وهناك عناصر اخرى متفرغة للمكتبة وأغلبهم يحمل اختصاص بشؤون المكتبات والطباعة وتوزيع المطبوعات .

والحقيقة الواضحة التي لمستها ويدركها اليوغسلاف المخلصون بعمق ، بأن النقاش ما زال محتدماً حول أهمية المركز - أو المعهد - في توفير المعلومات العلمية وفي جميع المجالات العلمية وبخاصة الطبية . وانه لا يختلف اثنان هنا وهناك في عموم يوغسلافيا بضرورة تواجد منظم بالمعنى الحقيقي فيما يخص النشاط العلمي النظري والعملي والذي لا زال قليلًا أو مفقوداً . ومع هذا وذاك فلا يستطيع أحد انكار الفائدة الكبيرة التي يقدمها المركز للشعب اليوغسلافي والمجتمع الانساني .

الواقع ان المركز عمل اعلامي علمي يهدف الى جميع الأساليب والأعمال العلمية وتحصيل المعلومات والنشرات من مختلف الأوساط العلمية وتمهد للأشخاص العاملين توفير تلك الامكانات العلمية لهم وبطريقة عالية من الكفاءة وباسلوب منطقي واقتصادي وتخطيط مدروس بعد تصنيف موادها بحيث يتمكن القارىء من ايجاد المادة المطلوبة والاستفادة منها بصورة سهلة ومستقلة كما تمكنه من استعمال المعلومات المتوفرة في مختلف المجالات .

[والهدف] : مساعدة الباحث أو الدارس للحصول على معلومات جيدة كلما أمكن ذلك ، ويتم ذلك بتنمية المكتبات وتنظيم تعاونها مع بعضها وتبادل المواد العلمية مع بعضها البعض وكذا مع المكتبات الأجنبية والمراكز العلمية

ونقل ونشر المعلومات المتوفرة وتنظيم جميع المعلومات اضافة الى النشاط العلمي المتطور السريع وحركته التي لا تقف عند حد لذا لا يمكن حصر فوائد المواكبة المستمرة السريعة للعلم . وبادراك واقعي ومنطقي بأن لا أحد بمفرده أو حتى المركز بانفصاله عن الحركات العلمية في العالم أن يتمكن من مسابقة أو مواكبة النشاط العلمي في ارجاء المعمورة ويتحتم على جميع الأعضاء العاملين في مركز المعلومات العلمية ادراك هذه الحقيقة ، هذا أولا ، وثانياً ان التعاون النوعي لجميع المراكز العلمية القومية والأجنبية ظاهرة واضحة حيث تغطي احتياجاتها العلمية عامة ، كما توفر ما يطلبه المراجعون والباحثون فيها .

[الأسباب] : كان للبحوث العلمية أهمية قليلة في العصور السابقة ، ولكن في القرن العشرين أصبح الأمر ضرورياً ، بل قد يغدو أي تطور أو تقدم متعذراً ، وفي أي مجال من مجالات الحياة ، ما لم يرتبط بالعلم وبنشاط البحث العلمي .

وهناك رأي معلن بأن ٩٠٪ تسعين بالمائة من العلماء الذين وجدوا على كوكبنا الأرض هم يعيشون الآن على الأرض وان عددهم يتضاعف كل « ١٠ – ١٥ » عشرة الى خمس عشرة سنة . ونتيجة لهذا ، واذا ما رغبنا في تطوير العمل العلمي بجيشنا « الجيش اليوغسلافي » « لأن الحديث لا يزال لأحد علماء اليوغسلاف » . فان ذلك يتطلب الاطلاع على النتاج العلمي للآخرين واذا علمنا ان مجموع ما ينشر من صفحات علمية يتضاعف كل « ٨٫٥ » ثماني سنوات ونصف .

وفي هذه الأيام تصدر أكثر من « ١٠٠٫٠٠٠ » مائة ألف مجلة سنوياً . وبدون أدنى شك لا يوجد فيها أكثر من « ٥٠٫٠٠٠ » خمسين ألف مجلة حية . ويصدر كل سنة أكثر من « ٢٠٠٫٠٠٠ » مائتي ألف كتاب علمي عام ومتخصص ، وكذا ما يقرب من « ١٠٫٠٠٠ » عشرة آلاف ورقة علمية في مختلف المؤتمرات والندوات والحلقات العلمية وعلى ما يزيد على « ٥٠٠٫٠٠٠ » خمسمائة ألف تقرير حول منشورات الابحاث العلمية .

وكذلك ينشر سنوياً « ٢٠٠٫٠٠٠ – ٥٠٠٫٠٠٠ » تقرير لاكتشافات حديثة واطروحات لشهادات الماجستير والدكتوراه اضافة الى عدد لا يحصى من النشرات الاخرى ومن هذه بالامكان حصر ما يقرب من « ٤٥٪ » خمس

وأربعين في المائة تخص العلوم عامة ومنها ما يقرب من « ١٩٫٠٠٠ » تسعة عشر ألف مجلة متخصصة في العلوم الطبية .

وقد ثبت وبما لا يقبل الشك بأن النشرات العلمية والمجلات هي بازدياد مستمر وتسابق سريع . لهذا فليس من المستغرب أن تصبح الحقيقة ناصعة وواضحة بأن المنشورات العلمية خارج نطاق أي عالم أو باحث أو خبير لمتابعتها .

وقد فاضت على امكانات حتى المكتبات الصغيرة والمراكز الصغيرة ، كما ان التكاليف لاحتواء وشراء ما ينشر يتضاعف بشكل مستمر . وهذا يتطلب مضاعفة مخصصات المكتبات الكثيرة وبما في ذلك من هدر اقتصادي على المستوى العام للدولة . وعلى مستوى أي جامعة مفردة أو مؤسسة مستقلة . وان الاتجاه في العالم للنمو الكبير في النشرات العلمية يعكس الجهود التي تبذل لاختصار الفراغ واحتوائه بين ما ينشر وتطبيقات تلك العلوم وبخاصة في مجالات الطب وبشكل اخص الطب العسكري ووحدات الميدان وجراحة الحرب وطب الميدان .

فان التقدم السريع يحتم التطبيق السريع وفي جميع المجالات ، وان استمرار تبادل الخبرات بين الاطباء يؤدي الى رفع كفاءة وحدات الميادين ويطور الرعاية الطبية والتي لا يمكن توفرها من غير تواجد مركز وثائق المعلومات الطبية .

وان أي تقدم حقيقي وواقعي في الخدمات الطبية العسكرية لا يمكن الالمام به ولا يركن اليه من غير مركز علمي طبي للمعلومات . ولهذه الأسباب فان مركز الوثائق الطبية العسكرية أسس في يوغسلافيا سنة احدى وستين وتسعمائة وألف (١٩٦١) ليكون قادراً كمركز لأعمال الوثائق والمعلومات في مجال الطب والصيدلة العسكرية .

وان واجب المركز أن يضطلع بصورة كاملة ومنظمة بتزويد العاملين كافة في الوحدات اينما كان محل عملهم .. باحثين كانوا أم أطباء عموميين ، مدرسين أم اداريين بمعلومات عن آخر التطورات العلمية الطبية في الجمهوريات اليوغسلافية وخارجها وبخاصة ذات الأهمية في الطب العسكري .

ان الفكرة جاءت لانشاء المركز ليكون ذا فائدة بصورة خاصة لاطباء

الوحدات التي تكون معسكراتها بعيدة عن المراكز الطبية الكبيرة ولا بد لمنتسبيها أن يكونوا على تماس مباشر مع كل ما يقال وينشر فيما يخص الطب ووحدات الميادين في الجيوش الأجنبية .

وفي الغالب لا يوجد نقص في توفير المعلومات المفيدة ، وانما تنجم الصعوبات في سهولة ايصال تلك المعلومات ووضعها باسلوب سهل ومبسط ومستساغ للاستفادة من تلك العلوم وكيفية اتاحة الفرص أمام العاملين لتثقيف أنفسهم ومواكبة تقدم العلوم ومسايرة تطور الوحدات الطبية ، وهذا بدوره ينعكس لفائدة المريض . وان المركز قد ساعد في سد ثغرة كبيرة وساعد الى حد بعيد الأطباء والصيادلة على مواكبة العلوم والتدريب والخبرة .

ولا يخامرنا الشك أبداً بأن العمل والنجاح محفوفان بالمصاعب والجهد والمثابرة ، لأن العمل يعتمد كثيراً على الامكانات في وحدات الميادين والمراكز التي هي على اتصال بالمركز الرئيس للوثائق والمعلومات وبمجموعها تكون شبكة مترابطة للمعلومات الطبية في الجيش اليوغسلافي ، ومن خلال استقراره وعمله المتواصل فان المركز قد تطور الى مركز حديث ، يحصل وينظم ويهيىء ويحلل ويفهرس ويوزع العلوم التي لها علاقة بالطب وعمل وواجبات وحدات الميدان ، وكذلك لدراسة وتطوير وممارسة الأساليب الحديثة في نقل وتوزيع العلوم الطبية . وفي الوقت الحاضر ان فيض المعلومات الى المركز قد تزايد زيادة بالغة لاسترجاع معلومات أولية وثانوية والكثير من المجلات التي قد تصل الى « ٢٠ر٠٠٠ » عشرين ألف نسخة يضاف الى ذلك العدد الكبير من الكتب الطبية وكتب الدراسة وتحقيقات واطروحات ماجستير ودكتوراه والتي قد تصل الى ثلاثين موضوعاً مع الاعتراف بأن جميع هذه النشرات التي تستلم في المركز قد تمثل نسبة قليلة ، ولكن بكل تأكيد لا تقل عمّا يضمن الفائدة المتوخاة ، وانه لمن الواضح للجميع بأن ٥٪ خمسة بالمائة فقط يصل الى المركز مما يصدر في الخارج من نشرات العلوم الطبية ، وهذا يمثل الحد الأدنى . وان قلة وتحديد عدد النشرات الخارجية التي تصل الى المركز يرجع الى الأسباب التالية :

١ - ارتفاع أسعار تلك المجلات واستمرارية زيادة أثمانها وبخاصة العلوم الطبية .

٢ - حماية الأطباء والأفراد من أن ينشغلوا بمجلات رخيصة علمياً أو

استرجاع معلومات مكررة وبما في ذلك من مضيعة للوقت والجهد والمال .

٣ - الاقتصاد في الوقت الحاضر على أقل تقدير بالمبالغ التي تحول الى خارج البلاد . وأن توضع تلك المبالغ للمجلات المثمرة ، سواء أكانت تلك المجلات العلمية أجنبية أم محلية وشرقية أو غربية .

فوضع هذه القواعد والمفاهيم نصب أعين العاملين في المركز ولغرض توضيح المعلومات المختارة الى القارىء .

والمركز موجه ومحدد لاختيار أفضل المطبوعات ، أي ان يطلب أفضل الأنواع من المجلات المعترف بها عالمياً . وان هذا التحديد والعناية في الاختيار للمجلات بعد دراسة دقيقة ولما يرضي الأطباء المستفيدين من هذه الخدمات يمكن وضعهم في ثلاث مجاميع :

أ - الباحثون .

ب - الممارسون .

جـ - المنظمون .

وهكذا فانهم قد يحتاجون الى أساليب ثلاثة للحصول على معلومات قد تختلف عن بعضها البعض ، وقد يصعب أن نجد المستفيد من الخدمات ممن ينطوي تحت المجموعة الاخرى ، ولكن في الوقت نفسه ، قد تكون هناك مصاعب اخرى في وضع حد فاصل بينها .

اضافة الى ذلك قد يصادف وفي وقت ما اناس آخرون يختلفون في الواجب والتطبيق عما ذكر اعلاه ، كأن تكون متطلبات تدريسية أو ثقافية أو ادارية وما شابه ذلك . ويرتكز نشاط المركز في الوقت الحاضر على اتجاهين يخطط لهما :

الأول ، والأهم يدور حول محور جمع المعلومات العلمية المستقاة من العلوم الخارجية وادخالها الى المستفيدين اليوغسلاف . والثاني اصدار ما ينشره العلماء اليوغسلاف من بحوث الى الخارج ليطلع عليها علماء العالم ومشاركة العالم مسيرته الحضارية .

وان عمل المركز يسلك في كلا الاتجاهين الأساليب العلمية السليمة والمعلومات الدقيقة ، وان كان الجهد والتركيز يزدادان كثيراً لنقل المعلومات ونشر العلوم والاختصاصات الطبية ، وتوزع على المستفيدين اليوغسلاف . ولتحقيق الغرض المنشود فان الأساليب الخارجية كافة والطرق المتيسرة قد

يلجأ اليها المركز لاستقاء العلوم .

حيث يركن الى المجاميع الأجنبية الذائعة الصيت كالفهارس والمجلات والمعاجم الطبية والقواميس الطبية والخبرات الطبية العالمية ، وكمثال على ذلك :

CURRENT CONTENTS

INDEX MEDICUS

EXCEPRTA MEDICR

وكذا المجاميع التي يحصلون عليها من مركز معلومات الحاسبات والنشرات الاخرى .

وعندما نتكلم عن المصادر الوطنية للمعلومات فانه يشار بصورة مبدئية الى المنشورات التالية والتي تصدر بصورة منتظمة أو متقطعة عن المركز :

١ - مجلة الصحة العسكرية ، وتصدر هذه المجلة شهرياً ، وتحوي التقارير الرئيسة ، ويشمل كل عدد على خمسين تقريراً يتعامل مع مقالات مختارة من مجلات أجنبية .

٢ - النشرة الاخبارية الطبية ، وتصدر كل اسبوعين وتحوي على عشرين خبراً ، تدور حول تنظيم المعلومات الصحية والعلوم الطبية وبخاصة ما له علاقة بالطب والصيدلة العسكرية .

٣ - البلاغ « التقارير الاخبارية » وتصدر ست مرات في السنة وتحوي على ثلاثمائة وعشرين مقالًا وخبراً علمياً في العدد الواحد ، وتصدر في العادة كل شهرين .

وهذه المقالات قابلة للرفع من المجلة والتنظيم في الأضابير الخاصة للأشخاص ، وتشمل الدراسات التحليلية والصناعية والمعلومات التوجيهية ومختارات وثائقية مع خلاصة أو بدونها . وبجانب هذه المنشورات الثلاث فان التركيز كذلك على الأساليب الموجهة للمعلومات المتواجدة في أضابير المركز والتي يمكن الرجوع اليها والاستفادة منها « الفهارس المتخصصة ، الفهارس الطبية ، فهارس المعاهد ، ومشاهير الأشخاص ومصادر المكتبات الاخرى » .

وان هذا الاسلوب المتبع لجمع العلوم الدارجة ، أو كما تسمى المعلومات العلمية العامة ، تمارس في المركز منذ تأسيسه وفي مختلف الاتجاهات

للمعلومات والدراسات الجماعية والموجهة ، التقارير ، الأخبار ، النشرات ، الوثائق . وتطبع كما أسلفنا بنشرات منتظمة وتعتمد على حداثة الموضوع وما تحويه من خبرة وأهمية للمعلومات .

ومنذ سنة (١٩٧٣) ادخل في المركز اسلوب المعلومات المختارة ، وهو أحدث اسلوب يمارس في المركز فماذا يعني ؟ يهدف هذا النظام الى انتخاب وتوجيه معلومات مختارة بدقة متناهية وتوزيعها الى مستفيدين خاصين .

وهذا النظام يوفر معلومات منتقاة الى مجموعة محدودة من المستفيدين الراغبين ، وهذه المعلومات تشكل تشخيصاً دقيقاً جداً وعالية المستوى وتختار لتسبر غور تخصصات مواضيع خاصة باولئك الأشخاص الذين تنصرف همومهم للبحوث والدراسات العميقة والتدريسات العالية .

ولتغطية هذه المجاميع فان المركز يعتمد على أساليب مختلفة ليحقق هدفه : « مراكز معلومات الحاسبات ، مصورات المقالات الأولى في المجلات التي تصدر حديثاً ، واعادة استنساخ الصحائف مع مختصرات المجلات الحديثة وبخاصة اذا كانت متخصصة بمواضيع معينة ، الوثائق ، الفهارس لأحدث ما نشر من كتب ومواضيع ودوريات » . وان أكثر من ستمائة طبيب وصيدلي وحياتي وكيميائي وخبراء آخرين مشمولون بأكثر من مائة نشرة للمعلومات المختارة .

ويؤكد أكثر المستفيدين من نشرات المعلومات المختارة ، وبخاصة الباحثون وهؤلاء الذين يدرسون للحصول على شهادة الدكتوراه والذين يدخلون التطبيقات العملية ، فان هذه النشرات قد وجدت لها محلًا واضحاً في نظام المعلومات واثبتت فائدتها وان كانت لم تنل موافقة البحث الجماعي ولا المنظمين لمركز الصحة في الجيش الوطني اليوغسلافي ، ولكن التفاؤل كبير ان هؤلاء المجموعة من المتشككين سيلجأون ان عاجلًا أم آجلًا الى نشرات المعلومات المختارة .

ونظراً لزخم العمل في المركز فانه لم يعمل بنفس التركيز لاعادة المعلومات السابقة وان كان قد عمل في هذا المجال فى السنوات الأولى في اعقاب تكوينه ، وقد نجح في ارضاء رغبات المستفيدين في هذا المجال . وخلال السنوات القليلة الماضية لم يلتحق أي باحث جديد بالوثائق عدا

الباحثين السابقين والذين لم يتمكنوا سوى تلبية طلبات ورغبات الادارات العليا . وهذا ما أدى الى عدم تناسب قابلية الاشخاص العاملين مع العمل والطلبات المتزايدة الى المركز .

ومع هذا ففي الربع الاخير من عام اربع وسبعين وتسعمائة وألف جاء عرض الى الوفد اليوغسلافي من قبل « مدلاين » من منظمة الصحة الدولية في المؤتمر العالمي لتنظيم المكتبات والذي عقد في باريس في تلك السنة والذي مكّن القيام بتوسيع كبير وان لم يكن كاملا على الأبحاث الماضية ، ولاكمال ذلك فان المركز ولحاجة المستفيدين ولارضائهم قد استعملت مركز الحاسبات التي شملت سجل الوثائق لموضوعات نشرت في السنوات الأربع الماضية في ألفين وأربعمائة مجلة طبية متميزة . وان آخر عدد من بلاغ « مدلارز » التقنية يمكن أن يؤخذ لاثبات بأن ذلك لم يكن عدداً يستهان به وبالنسبة لذلك البلاغ فان السجل لمصرف مركز « مدلاين » يحتوي على أربعة الاف وخمسمائة واثنين وثمانين مرجعا « ٤٥٨٢ » خلال الفترة من شهر كانون الثاني « ١٩٧٠ » وحتى شباط من سنة ١٩٧٥ .

وبالرغم من ان سجل مصرف مركز « مدلاين » يمتد الى حدود معينة أي ان بحوثه السابقة للمعلومات يركز على مدى أربع سنوات فقط وان المركز قد سد الثغرة لحد الآن باثبات نشاطه لتوفير المعلومات ، وان خبراء المركز الخارجيين وعددهم مائة وعشرون هم من مشاهير العلماء والخبراء والأساتذة والمدرسين من الأكاديمية الطبية العسكرية وكلية الصيدلة وغيرها من المؤسسات العسكرية والمدنية . واضافة الى التقارير المحكمة والكتابات التي تخص المعلومات العلمية فان الخبراء الخارجيين يقدمون دراسات لا تقدر بثمن لتصنيف الوثائق بسبب معلوماتهم الواسعة وخبراتهم الكثيرة . وانه فقط لتعاونهم الكبير ومعلوماتهم المتكاملة مكّنت المركز من تقديم معلومات متقنة ومصادر على درجة عالية من الجودة . اضافة الى المورد الرئيس لنظام المعلومات فان المركز يقوم باصدار معلومات داخلية من مصادر محلية وخارجية ونشاطات اخرى تشمل نظاما ثابتا لتزويد المستفيدين والمشتركين بخبرات الخبراء ومواعيد الاجتماعات والمؤتمرات في داخل جمهوريات يوغسلافيا وخارجها ومراكز الطب الخارجية ومشاهير خبراء الطب في العالم وما يطرأ من تطور بالاجهزة الطبية وكذا اطلاعهم الى النظرات المستقبلية لنشر الكتب والمجلات الطبية في العالم وتزويدهم بأسماء الكتب التي تصل

حديثاً الى المركز .

ان اصدار المعلومات الى الخارج بالتأكيد أقل من الوارد اليه . ويعتمد ذلك على نشاط الطبع للمركز والتي تعتمد على مجلة الصحة العسكرية ، وتصدر في هذه المجلة مواضيع من قبل كتّاب يوغسلاف وغالباً من أعضاء منظمة الصحة العسكرية .

وكثيراً ما يحدث تبادل هذه المجلة مع مجلات أجنبية وهذا مما يساعد على ادخال العلوم الطبية والخبرات اليوغسلافية الى المجال العالمي . وطبعاً هذه ليست الطريقة الوحيدة لأن مجال الصحة العسكرية يدخل النظام الطبي العالمي من خلال نظام الفهرس الطبي العالمي التي تمثل بصورة ايجابية فهارس المنشورات الطبية في العالم . وكذا من خلال نشرات أقل أو أكثر أهمية - الخبرات الطبية .. المختبرات الحياتية .. الخ . وبجانب مجلات الصحة العسكرية فان جميع النشاطات من المركز كالكتب والكتب المنهجية للتدريس والخبرات العلمية والنشرات الطبية الاخرى تشكل القاعدة المهمة التي تعتمد عليها الخدمات الصحية للجيش الوطني اليوغسلافي .

وختاماً فان هذه الأفكار واللمسات قد كتبتها على عجل مستعيناً ببعض اللقاءات مع المشرفين على المركز في الجيش اليوغسلافي ، وبكل ما اتيح لي من نشرات عن المركز باللغة الانجليزية وهي قليلة والقسم الأكثر باللغة الصربية ، واستعنت بمن ترجمها الى اللغة الانجليزية ، ومن هذه وتلك قدمت هذا الحديث ، وأملي بأنني قد وفقت في طرح تجربة رائدة حققت الكثير من النجاح في توفير ونقل العلوم المهمة في العالم وتقديمها بطريقة سهلة باللغة الصربية الى كل عامل في مجال الطب العسكري في الجيش اليوغسلافي مهما كان موضعه ومهما كان اختصاصه لتمكنه من الاستفادة القصوى في اداء عمله وبأحدث الأساليب وأتقنها وتمكنه من مواكبة العلم والتطور .

« وان العاقل من استفاد من تجاربه . والحكيم من استفاد من تجاربه وتجارب الآخرين والأحمق من لا يستفيد لا من هذا ولا من ذاك » .

أخذ الله بأيدي الجميع لمسايرة الركب الحضاري العالمي . والله من وراء القصد .

بغداد

٣ - ٧ / ٣ / ١٩٨٧

مصادر هذا الفصل

1 - TANASKOVIE , PROF . OR .
WESLEY ... BRIEFING . OR .
MILITARY MEDICAL DECUMENTATION .

2 - RADIVUE . MILAR , THE COL .
DERGOVIE . VLADIMIR .
THE COL . TENCESLSEUJIE ,
INS , WESLEY , PROF COL .
INSTITUTE FOR MILITARY
MEDICAL DOCUMENTATION .
MILITARY SONITARIOS J .
NO.3 APRIL 15 , 1975 .

3 - AUGPR , P., CURRENT TRENELS
IN SCIENTIFIC RESEARCH
USES PARIS 1961 .

4 - BIOTTEY , K, W.; KEYS. TO. THE MEDICAL , EDITED BY
W.SEWELL
WASHINGTON 1973 .

5 - LINS . N , J.
OF DOCUMENTATION 26:1 .
46 - 54 , 1970 .

مشاكل تعريب الطب

لا بد من الادراك الواقعي والتحسب مسبقاً بأن لا يوجد عمل مهما كان نوع العمل من غير معضلات ومعوقات ومشاكل حقيقية ومفتعلة . فكيف اذا كان العمل الذي نتحدث عنه ونؤيد الخطى الحثيثة لانجازه والمباشرة بتطبيقه ، فعملية تدريس العلوم الطبية باللغة العربية من الأهمية بمكان ومن الدقة بمكان وضرورة من ضرورات استقلالنا وتطورنا العلمي والتقني ، بل والحضاري .

فحتماً ستكون هناك مصاعب وهناك معضلات وهناك احباطات وربما عثرات مقصودة ومفتعلة وفي مقدمة هذه المعضلات والمشاكل :

١ - الاستعمار ودوره في عرقلة التعريب .
٢ - الهواجس والشك من نجاح عملية التعريب .
٣ - نقص الكتب والمجلات والنشرات الكافية لتغطية متطلبات التعريب .
٤ - تهيئة دور ترجمة متمكنة من مواصلة نقل ما ينشر من علوم طبية خارج الوطن العربي وتقديمها الى اساتذة وطلاب الطب .
٥ - المدرسون المتمكنون من التدريس باللغة العربية .
٦ - المصطلحات الطبية الموحدة .
٧ - الولاء للاقليمية والعامية .

(١) الاستعمار ودوره في عرقلة عملية التعريب ..

كتب على امتنا العربية ومنذ سقوط بغداد مركز الاشعاع الحضاري على يد المغول وتدمير المدارس والمكتبات ودور العلم والثقافة وامتنا العربية مبتلاة بالسيطرة الاستعمارية سواء كان بذلك سيطرة وقتية هنا وهناك كالبويهيين والسلاجقة والفرس والعثمانيين والذين حاولوا ادخال لغتهم الى المناطق التي كانت تحت نفوذهم ، وبخاصة الى فترة ما قبل الاستقلال للعالم العربي في مطلع القرن العشرين وحيث حاول الترك فرض لغتهم التركية على المدارس والدوائر الرسمية ودور الثقافة . ومن ثم ابتلت الأمة العربية فيما بعد ذلك بعملية التجزئة والتقسيم وفرض سيطرة اجنبية من نوع جديد فالعراق والخليج

العربي ومصر والاردن وفلسطين غدت تحت نفوذ الاستعمار الانجليزي . في حين غدت سوريا ولبنان والمغرب والجزائر وتونس تحت هيمنة الاستعمار الفرنسي . وليبيا تحت حكم الطليان . وهكذا تركت هذه الدول بصماتها اللغوية والثقافية على الشعب العربي في هذه الاقطار وتأثرت المصطلحات بلغات تلك الدول المستعمرة . والى يومنا هذا . وتتحكم التبعية الثقافية والمدارس التعليمية والكتب والمجلات بثقافة هذه الاقطار العربية . فنجد مصر والعراق والاردن والخليج العربي يتجه ببعثاته ودراساته الطبية وحتى غير الطبية الى انكلترا والدول التي تتكلم اللغة الانجليزية - الولايات المتحدة وكندا ، ونستورد الكتب الطبية منها والمجلات والاجهزة والأساتذة وحتى الممرضات . وفي حين تتجه لبنان ودول المغرب العربي الى فرنسا . ولذا تحاول الدول جاهدة الى احكام سيطرتها العلمية والثقافية على تلك الدول وابقائها تدور في فلكها ، وتعتمد على كتبها ومجلاتها ونشراتها . بل وطبها حيث يسافر سنويا عشرات الألوف من المرضى وغير المرضى للعلاج والسياحة والاصطياف .

(٢) الشك والهواجس المفتعلة والخوف من فشل عملية التعريب ..

ان كان العامل السالف الذكر يأتي من مؤثرات خارجية من الاستعمار ورجاله والذين يدورون في فلكه ، فان العامل الثاني المهم الذي يأتي من داخلنا نحن ومن هواجسنا وذاتنا والذي اعتقده ان هذا أصعب وأمرّ من العامل السابق . ومما لا شك فيه ان الانسان وبأي عمل اخر يستسهل ما اعتاد عليه ، وكما قيل في المثل العربي « ان السهل مركبه وطيء » . وهكذا نرى بأن جميع المدرسين في كلياتنا الطبية قد درسوا وتعلموا علومهم الطبية بلغات أجنبية سواء كانت دراساتهم في كليات الطب والدراسات التخصصية وأغلبها في دول أجنبية في انكلترا واميريكا وفرنسا وايطاليا والمانيا وروسيا . وهم يملكون حصيلة جيدة من المحاضرات والكتب والمختصرات والمراجع بتلك اللغات ، ولذا فانهم اذا أقدموا على التدريس باللغة العربية فلا بد من جهد يضاف للنهوض بهذا العمل الجبار ، وهكذا يتحاشاه أكثر الأساتذة ان لم أقل جميعهم ويركنون الى النهج الذي مركبه سهل وأبسط ولا يرهق أذهانهم بالاقدام على عمل يتخوفون من الخوض فيه ، يضاف الى ذلك ، ما يقدم عليه

البعض وباغراض منهم باثارة الهواجس والمخاوف المقصودة لعرقلة عملية تعريب الطب .

(٣) الكتب الطبية والمجلات والنشرات ودور النشر ..

بكل تاكيد ان نجاح أو فشل عملية التعريب تعتمد كثيراً على ما يتوفر من كتب منهجية ومجلات طبية ونشرات علمية تساعد في تطوير العلوم الطبية ومواكبة ما ينشر ويبحث في شتى انحاء العالم . لهذا يثير الكثير هذه المعضلة بالذات ، البعض منهم يثيرها باخلاص لانجاح عملية التعريب والاخر لمجرد اثارة العقبات أمام عملية التعريب بعدم توفر المجلات الطبية والكتب باللغة العربية ، وهذا أشبه ما يكون بالجدل المعروف « هل البيضة من الدجاجة أو ان الدجاجة من البيضة ؟ » .

انها الخطوة الأولى التي يجب أن نضع عليها أقدامنا فاذا بدأنا بترجمة الكتب أو تأليف الكتب والكراسات (٤) فأين هي دور النشر التي تقبل بنشر كتب مشكوك في رواجها مسبقاً وبخاصة ان دور النشر الأهلية منصرفة لنشر الكتب والمجلات التجارية وتفكر بالربح والخسارة أولًا ويهمها رواج الكتاب ولا يهمها المحتوى ، ودور النشر الحكومية تضع في حسبانها الكتب والنشرات السياسية والاعلامية ، وهكذا يبقى الكتاب العلمي والمجلات الطبية لتأخذ أسبقية متأخرة ان قدر لها أن تأخذ أي مجال في المنافسة والمزاحمة والدور ، بينما الفروع العلمية الاخرى التي تدرس باللغة العربية غدت كتبها من الكثرة والتنوع وتنافست عليها دور النشر التجارية لأنها تشكل قناة مربحة في طبعها وتوزيعها وهكذا كثر فيها التأليف والوضع والنقل والترجمة مما أغنى المكتبة العربية وعلى نقيض ذلك الكتب والمجلات الطبية ، فلمن تؤلف الكتب أو تترجم وبخاصة المنهجية منها وكيف تقدم دور نشر تجارية على طبعها وترويجها اذا طلاب الطب والأساتذة يقرأون ويدرسون ويدرّسون بلغة اخرى .

(٥) ، (٦) فالطلاب والأطباء الذين درسوا وتعلموا لغة ثانية يستسهلون مواصلة القراءة والمتابعة بتلك اللغة حيث سهلت عليهم المصطلحات من ناحية ولزيادة ممارستهم وتقوية لغتهم من ناحية ولزيادة ممارستهم وتقوية لغتهم من ناحية اخرى ، وان هذه الكتب والمصادر ليست من كتب الترفيه أو القصص والروايات التي تقرأ للمتعة وتزجية الوقت وانما هي

كتب تحتاج الى جهد مضاعف بالطبع والتصحيح لعدم وجود دور نشر متخصصة يطبع الكتب العلمية والكتب الطبية بشكل أخص .

أعرف زميلاً عالماً ومتخصصاً بالأمراض الباطنية وله تحصيل على عدد من شهادات الزمالات البريطانية ومارس التدريس لسنوات وسنوات ومن ثم أحيل الى التقاعد وهو في مرحلة العطاء والنضوج العلمي وعنّ له أن يكتب كتاباً في اختصاصه -الأمراض العصبية - وفعلاً أنجز ما عاهد نفسه عليه واستغرق العمل فيه سنوات خمساً بنهارها ولياليها ، واكمل الكتاب بمجلدين ويقرب من ثمانمائة صفحة بالقطع الكبير مع الرسوم والصور والايضاحات العلمية ومنذ خمس سنوات اخرى وهو يتشبث بأهداب المستحيل لطبع هذا الكتاب وجاءه تعب آخر حيث سنوياً يعيد كتابة بعض المواضيع واعادة النظر بالكثير من الصفحات الاخرى ليبقى الكتاب مواكباً للتطور العلمي العالمي والمعضلة لا تزال قائمة ، أين يطبع الكتاب ومتى وكيف ؟

وبالرغم من كل هذه المعضلات والمشاكل فقد طبعت الكثير من الكتب التي تصلح قاعدة أولية هنا في بغداد وهناك في دمشق والجامع الأزهر في القاهرة والعواصم العربية الاخرى وكل ما تحتاج اليه هو السير الحثيث والتنسيق وبداية التعريب .

فالكتاب العلمي الذي قد يطبع منه خمسة آلاف في بغداد ، ستطبع منه عندئذٍ خمسين ألف أو يزيد وستلهث دور النشر العربية والأجنبية لطبع مثل هكذا كتب طبية منهجية ومساعدة ومراجع ثقافية . وسنرى المئات ان لم نقل الآلاف من هذه الكتب الطبية مع بداية التعريب وفي السنوات التي تلي ذلك .

فالكثير من الأساتذة الذين تمرسوا في التدريس والتطبيب وحصلوا على خبرات علمية عالية يحجمون عن الكتابة باللغة العربية لأنهم يدركون صعوبة الطبع والنشر ومن ثم عدم رواجها ، فهم لمن يكتبون ويجابهون الصعوبات المضاعفة ، وهم لا يؤلفون باللغات الأجنبية لأنهم وبكل تأكيد لا يبلغون القدرات اللغوية بحيث تمكنهم من منافسة ابناء الدول الناطقة بتلك اللغات وحتى اذا ما كتبوا بتلك اللغات كما فعل عدد قليل فانها حالات فردية ولا تتجاوز الاعداد أصابع اليدين على امتداد الساحة العربية وحتى اذا ما كتبوا بتلك اللغات فانهم يضيفون تراثاً لغوياً وعلمياً الى تلك اللغات الأجنبية التي كتبوا بها . وهم بهذا قد يرضون طموحهم الشخصي وراحتهم النفسية ولكنهم

يغنون اللغات الاخرى وبهذا خيانة وطنية وقومية ولغوية ، كم هي اعداد العلماء المغتربين من وطننا العربي في دول العالم الآخر ، في كندا واميريكا وانكلترا وفرنسا وحتى الارجنتين والبرازيل وفيهم باحثون وفيهم علماء وفيهم أطباء ، وهم يكتبون وينشرون بتلك اللغات . فما الذي استفادته اللغة العربية منهم وما جناه الطبيب العربي في القاهرة ودمشق وبغداد . وان ما يكتبونه وينشرونه يشكل اضافات الى تلك اللغات والى تلك العلوم ليس الّا وتنحرم منها الأجيال الطبية الشابة في الوطن العربي وعلى امتداد الساحة العربية .

ويتبع ذلك الشكوى والتذمر من قلة المجلات والنشرات الطبية العربية . ولكن اذا تساءلنا كم هو عدد المجلات الطبية التي تصل الى الأطباء في أقطارنا العربية ، بكل تأكيد ومهما تفاءلنا فانها لا تصل خمسة بالمائة ٥٪ ، أما البقية من الأطباء والذين يشكلون الغالبية العظمى خمسة وتسعون بالمائة ٩٥٪ فانه يعيشون بانقطاع علمي كامل ولا تصلهم لا كتب ولا مجلات لا عربية ولا أجنبية . فاذا ما شجعت الترجمة ونشر المجلات وايصالها الى الأطباء في المستشفيات والمستوصفات في الأقضية والنواحي والقرى فاننا سنحقق فائدة كبرى ونضمن مواصلة التتبع العلمي وبالوقت نفسه نضمن وفرة كبيرة بالعملة الصعبة التي تذهب سدى وتأتي فقط الى المكتبات الطبية القليلة ولا يستفيد منها الّا العدد القليل ، وهؤلاء أيضاً من الانشغال بحيث يتعذر عليهم قراءة ودراسة تلك المجلات .

ومع هذا توجد مجلات هنا وهناك تصدر باللغة العربية أو لغات اجنبية ولكنها توزع على مستوى القطر الذي يصدر تلك المجلات فقط .

وكيف لي أن أتصور ان طالب الطب أو حتى الطبيب في المغرب أو الجزائر أو تونس يستطيع أن يقرأ المجلة الطبية التي تصدر باللغة الانجليزية هنا في بغداد أو عمان أو القاهرة ، والعكس أيضاً صحيح ، كيف نستطيع في بغداد أن نقرأ المجلة الطبية الصادرة من مراكش أو تونس أو الجزائر وهي مكتوبة باللغة الفرنسية .

ومسألة اخرى أراها على جانب من الأهمية وهي ان أغلب المقالات والبحوث التي تكتب وتعد وترسل الى أساتذة وزملاء في الخارج لقراءتها وتصحيحها وتقويمها ونشرها في المجلات الأجنبية ، وهذا هو نظام الترقيات

العلمية والترفيع الوظيفي في كلياتنا الطبية . وبهذا الاسلوب تنمو المجلات الطبية الاجنبية وتهزل وتضمر مجلاتنا الطبية .

(٧) الولاء للاقليمية والعامية ..

ومن ثم يأتي التقوقع القطري والولاء الاقليمي وحتى الدعوة الى اللهجات العامية . وهذه جميعها آفات كبرى تعرقل بل قد تقضي على كل أمل وطموح والمباشرة في عمليات التعريب ، حيث ان ذلك يعتبر من المشاكل المعقدة التي قد تحول وعملية التعريب . حيث ان كل طبيب أو كل عالم أو حتى المجمع العلمي أو اللغوي في ذلك القطر يأخذ اسلوبا معينا في وضع المصطلح حسب منهجها وثقافتها ، وقد تأخذ معناه من اللغة الفرنسية والتي هي مغايرة للغة الانجليزية أو العكس أو استعمال كلمات عربية أصيلة أو عامية قد تختلف في التعبير والمعنى من قطر الى آخر . وبخاصة اذا ما حدث تزمت واصرار على هذه المصطلحات فانها عندئذ ستؤدي الى فوضى في عملية التعريب المرجوة وبخاصة اذا ما تداخلت التأثيرات السياسية من هذا القطر أو ذاك فعندئذٍ قد يغدو مستحيلاً الوصول الى الهدف المرجو بيسر وسهولة وكما هو مؤمل يضاف الى ذلك بعض الأصوات التي ترتفع بين آونة واخرى لاستخدام اللهجات العامية في الكتابة والتدريس والنشر – وايم الحق عنوان الفوضى والتمزق والتشرذم .

الاسلوب المقترح

من اين نبدأ اذن ؟

اذا اردنا أن نخطو خطوات ايجابية في تعريب التعليم الطبي ، فعلينا أن نبدأ اليوم وليس غداً ، وأن نضع أقدامنا على الخطوة الأولى ، وحتماً نحن بالغون قطع الألف ميل الذي نتهيب منها ولكن أولاً وقبل كل شيء أن تحصل القناعة لدينا بأهمية التعريب علماً وثقافة ووطنية . وأن يشرف على عملية التطبيق اناس مؤمنون بهذه العملية الوطنية الجبارة والقومية الخالصة ، اما أن توضع عملية التعريب تحت اشراف وتطبيق اناس يشككون مسبقاً بهذه العملية الرائدة أو أن تغلب عليهم الجذور الشعوبية واتصالاتهم غير الهادفة خارج حدود الوطن العربي فهذا حكم مسبق بفشل العملية .

فالقناعة والاخلاص والايمان المطلق بأهمية تعريب تدريس العلوم الطبية باللغة العربية هي الركن الأساس في انجاح عملية التعريب ، ومن ثم توحيد الجهود في عالمنا العربي من أقصى المغرب الى أطراف المشرق العربي ، وعقد مؤتمرات وندوات مشتركة ، وتشكل لجان عمل متواصلة تحت اشراف ومتابعة مركزية ، ابتداءً الاعتماد على التخطيط العلمي الواقعي ، ووضع قوائم دقيقة للكتب المنهجية الأساسية والمرجعية التي تحتاجها عملية التعريب في الوطن العربي ، ومن ثم اجراء عملية مسح شامل للكتب المتوفرة هنا وهناك في بغداد ودمشق والرباط والقاهرة والخليج العربي . وبعد هذا وضع خطة واسعة وشاملة للكتب الواجب طبعها مرة اخرى ، وتلك التي يكلف بها أساتذة متمرسون لتأليفها . ومن ثم اختيار الكتب الأجنبية الواجب ترجمتها ، ابتداءً من الصفوف الأولى ، ومواصلة المسيرة نحو الصفوف المتقدمة ووضع خطة شاملة للعديد من المجلات الطبية التي تنشر بلغتين وبما لا يقل عن ثلثي الصفحات باللغة العربية أو على أقل تقدير نصف المجلة على أن تكون تلك المقالات علمية صرفة ، سواء أكانت أصيلة أم جيدة للنشر أم مترجمة وليس مجرد نشر اخبار وعناوين ومواضيع اجتماعية أو سياسية .

ووضع مختصر بما لا يقل عن نصف صفحة بلغتين من غير اللغة التي نشر بها البحث ، فاذا كتب البحث باللغة العربية فيوضع في مؤخرة البحث

ترجمة للموضوع باللغتين الانجليزية والفرنسية ، واذا كتب بالفرنسية فتوضع ترجمة باللغتين الانجليزية والعربية ، والذي ينشر بالانجليزي يوضع مختصران باللغتين العربية والفرنسية ، مع وضع منهج منظم ودقيق لايصال هذه المجلات الى أكبر عدد ممكن من الأطباء على امتداد الساحة العربية . وأن تسهم في هذه العملية كليات الطب والجامعات والنقابات والجمعيات العلمية اضافة الى وزارات التعليم العالي ووزارات الصحة العربية . ويفضل أن تكون هناك بعض المجلات تنشر على نطاق عربي مشترك ، مثلًا ، المجلة الجراحية العربية أو المجلة الطبية العربية أو مجلة الأمراض النسائية العربية وهكذا يقال عن بقية العلوم الطبية الاخرى . ويختار رؤساء تحريرها من الأطباء العلماء في الوطن العربي من غير النظر الى كونهم من هذا القطر أو ذاك ويشارك فيها محررون من جميع الأقطار العربية .

ولانجاح عملية التعريب هناك ثلاثة آراء سائدة في خصوص تعليم العلوم :

الرأي الأول : هو الاستمرار في تدريس العلوم الطبية باللغة الانجليزية ، ويشهر أصحاب هذا الرأي الخوف من هبوط مستوى التدريس وبذا ينحدر مستوى الطب في الوطن العربي .

والرأي الثاني : هو تدريس بعض المواضيع باللغة العربية وابقاء تدريس المواضيع الرئيسة في الكليات باللغة الانجليزية كما هو الحال في الأزهر وبعض الكليات العراقية ، وان أخذ الأزهر يميل الآن الى تنشيط حركة التعريب والاكثار من تدريس العلوم الطبية باللغة العربية .

والرأي الثالث : هو جعل العربية لغة التدريس بكل فروع ومواضيع الطب النظرية منها والعملية وكما هو الحال في دمشق وحلب . « ولانجاح عملية تعريب العلوم الطبية فان العملية بحاجة الى » :-

أ - ايمان الحكومات وأجهزتها بالتعريب .

ب - ايمان الأساتذة أنفسهم بالتعريب .

حيث ان عملية التعريب بحاجة الى تبني الحكومات باسنادها الدستوري وسن الأنظمة والقوانين التي تعزز مسيرة التعريب وتوظيف أجهزتها وامكاناتها الاقتصادية والطباعية والاعلامية لتثبيت الخطوات الأولى لعملية تعريب التدريس ومن ثم الخطوة التالية أن تكون هناك قناعة متأصلة لدى

الاساتذة أنفسهم وايمان مطلق ينبعث من داخلهم وليس أن يفرض عليهم أو ينفذون العملية باكراه من غير قناعات ذاتية . ومن ثم تأتي بعد ذلك المتطلبات المهمة والتطبيقية في عملية التعريب :

١ - الاهتمام بتدريس اللغة العربية العلمية والاكثار في تعليم المصطلحات ابتداءً من الاعدادية واستمراراً في الكليات .
٢ - الاهتمام بتدريس لغة أجنبية في الثانويات والكليات (الانكليزية ، الفرنسية ، الالمانية ، الاسبانية) والاستمرار بتدريسها في الكليات وبخاصة في الصفوف الثلاث الأولى .
٣ - الاكثار من الأساتذة الزائرين الذين يلقون أحاديثهم بلغات اخرى ، نظرية كانت أو سريرية .
٤ - تشجيع الطلاب على ترجمة البحوث والمقالات من اللغات الاخرى الى العربية ومن العربية الى تلك اللغات .
٥ - تعليم الألفاظ والمصطلحات الأجنبية الشائعة اثناء التدريس ليكون الطلاب على بينة من تلك المصطلحات .
٦ - توحيد المصطلحات العلمية في الوطن العربي .

ان عملية توحيد المصطلحات الطبية هو عمل قومي تساهم فيه الأقطار العربية ، بمؤسساتها الرسمية ونقاباتها المهنية وجمعياتها العلمية .

وأن للاستاذ الحكيم محمود الجليلي رأياً واجتهاداً في هذا الجانب ، فهو يؤكد ان اختيار أو وضع المصطلحات العلمية يحتاج الى :

١ - التصور الشامل للمصطلحات وتحقيق التنسيق والانسجام بين العلوم كافة .
٢ - ان المعضلة الرئيسة هو كيفية اختيار كلمة عربية واحدة تقابل المصطلح الأجنبي ، تكون مقبولة ومستعملة في الأقطار العربية كافة .
٣ - الرغبة الذاتية والعزم على تحقيق واكمال المصطلحات وشيوع استعمالها .
٤ - من يقوم بوضع المصطلحات أن تتوفر فيه الاطلاع الواسع في اللغة العربية والعلم الذي يتناوله ومن ثم التطبيق السليم في الممارسة .
٥ - تشجيع كتابة واستعمال تلك المصطلحات في الأجهزة العلمية

واللغوية والاعلامية .

٦ - تشجيع وتسهيل عمليات الترجمة والتأليف .

٧ - مواصلة نشر البحوث العلمية باللغة العربية ونشر ترجمتها أو مختصرها باللغات الاجنبية .

٨ - اعطاء أهمية كبيرة لتدريس اللغة العربية وبخاصة اللغة العلمية . التي تمتاز بالبساطة والجمل الواضحة والكلمات المعبرة .

٩ - مواصلة الاهتمام بتدريس وتطوير تعليم اللغة الاجنبية حتى في الصفوف الأولى في كليات الطب .

١٠- التكامل والتنسيق لعمليات التعريب في الوطن العربي .

١١- الاكثار من المعاجم المتخصصة واضافة المعاني والمصطلحات الحديثة بشكل مستمر .

١٢- اجراء عمليات تقويم دورية لعمليات تعريب العلوم الطبية في الوطن العربي وعقد حلقات وندوات حول الموضوع[1].

ندرج هنا رأي الاستاذ الجليلي لأنه واكب الدرس والتدريس لعلوم الطب منذ أن كان طالبا في كليات طب بغداد والقاهرة وانكلترا ومن ثم استاذاً وعميداً لكلية طب الموصل ورئيس جامعتها وهو عضو عامل ونشط في المجمع العلمي العراقي لسنوات وسنوات ومن المهتمين بالتراث وتأريخ الطب الأمر الذي يجعل لرأيه وزنا مؤثرا في المقاييس العلمية . والجليلي لا يغفل المعضلات المتوقعة :

« ١ - عدم كفاءة عمال المطابع والفنيين والمصورين لطبع الكتب العلمية .

٢ - ان مواد الطبع من حروف والات تصوير وأجهزة استنساخ لا تزال تخضع لعمليات الروتين وتأخذ أسبقيات متأخرة في الاستيراد والتأمين .

٣ - نقص الكفاءات الفنية المشرفة على الأجهزة الحديثة من مهندسين وفنيين .

٤ - نقص في المعاجم والقواميس العربية خاصة وبقية اللغات الاخرى » .

---

(١) د. محمود الجليلي - المصطلح العلمي في التعريب . مؤتمر تعريب العلوم . ٤ - ٧ / شباط / ١٩٧٨ . بغداد .

ومن ثم لرأي الجليلي بعض الحلول التي لا تختلف عن الحلول التي نراها نحن أيضاً :

« ١ - انشاء مؤسسة في كل قطر عربي يرتبط في وزارة التعليم العالي ، تتولى اعداد وتهيئة مواد الطبع بكافة متطلباتها .

٢ - تامين المراجع الأجنبية والعربية الحديثة في جميع مكتبات الكليات الطبية .

٣ - انشاء مكتبات متخصصة في كل قسم من أقسام الجامعات والكليات .

٤ - الدعم المادي والمعنوي لأقسام اللغة العربية في الكليات الانسانية والكليات الطبية .

٥ - تكليف لجان لاجراء عمليات مسح عام لجميع ما نشر وكتب وترجم منذ أقدم الأزمنة والى يومنا هذا »[٢].

وان عملية توحيد المصطلحات الطبية هو عمل قومي تسهم فيه الأقطار العربية بمؤسساتها الرسمية ونقاباتها المهنية وجمعياتها العلمية والمجامع اللغوية . وقد كانت خطوات ناجحة على الطريق عندما تمكن اتحاد الأطباء العرب من اخراج « المعجم الطبي الموحد » الى حيز الوجود ، وبذا فقد ملأ فراغاً في المكتبات الطبية وسهل فهم المصطلحات الطبية على مستوى الوطن العربي ، وكذا يشكل اخراج معجم المصطلحات الهندسية انجازاً رائعاً في تثبيت كل مصطلحات العلوم الهندسية والتقنية .

وقد كان لمعجم شرف - وهو من أقدم المعاجم والقواميس في العصر الحديث - أكبر الأثر في تسهيل فهم وتوضيح المصطلحات الطبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وقد أفادنا فائدة كبيرة في سنوات الطب الأولى ، حيث كنا نهرع اليه بل نجعله دائماً على مقربة منا ، لنستعين به في حل الرموز والكلمات والمصطلحات وتقريب ذلك الى مداركنا وفهمنا للمواضيع ونحن نضع أقدامنا على الخطوات الأولى في دراسة الطب حيث كان يتعذر علينا دراسة وادراك تلك المصطلحات بلغتها الأصيلة ما لم نترجمه الى اللغة العربية . والدكتور محمد شرف طبيب وعضو المجمع اللغوي وطبع قاموس شرف لأول مرة سنة ١٩٤٣م ويعتبر خطوة جادة على طريق التعريب .

---

(٢) د. محمود الجليلي - مؤتمر تعريب العلوم ، بغداد ، شباط / ١٩٧٨ .

وكذا جاء بعد ذلك قاموس حتي الذي يحوي على عدد كبير من المصطلحات لمختلف فروع الطب وسهل كثيراً فهم واستيعاب المواضيع الطبية أمام طلاب الطب ولمختلف مراحل الدراسة .

اما معاجم العربية القديمة فهي كثيرة وما تزخر به المناجد وقواميس اللغة وكتب التراث من مسميات ومصطلحات للأمراض وأعراض الامراض وأعضاء جسم الانسان والنباتات الطبية وهي كثيرة ولا بد من اعادة طبعها وتسهيل أمر تداولها في مكتبات كليات الطب بعد أن يعاد دراستها وتنقيحها وادخال المتغيرات ببعض الكلمات المعربة الحديثة لزيادة الفائدة .

وان الاطلاع والنبوغ في العلوم وما يستجد في العالم مرهون بهمة ونشاط الأشخاص وحبهم للمعرفة والثقافة أكثر مما يعتمد على الدراسة بهذه اللغة أو تلك .

فكم من دارس بلغات أجنبية اتقن تلك اللغة اتقاناً كاملاً ولكنه ولقلة همته ورغبته في مواصلة البحث والدراسة أصبح بعد فترة من الزمن قد انقطع ما بينه وبين التحصيل العلمي ولم يقدم شيئاً وانزوى في زوايا الاهمال والنسيان . وعلى العكس من ذلك فهناك الكثير الكثير ممن درسوا العلوم بلغة قومهم ولكن همتهم العالية ومتابعتهم للبحث والدراسة أصبحوا علماء ، وقدموا لأوطانهم الشيء الكثير . وهكذا فليست اللغة هي التي تحدد همة ونشاط العلماء وتطور الأمم والشعوب وانما قدرات ابناء تلك الأمم وحماسهم ومواكبتهم للعلوم والتقنية والتطور في العالم . وان الغبار الذي يثار بين آونة واخرى والاعترافات التي تنشر على أعمدة الصحافة على مدى صلاحية اللغة العربية لتدريس العلوم الحديثة والطب والتقنية المتطورة بتعقيداتها وكثرة المصطلحات ربما تناولها البعض عن بساطة وحسن طوية ، وقد تصل حد السذاجة .. ولكن الملاحظ ومن خلال استقراء الأحداث والفترات التي تثار فيها هكذا زوابع وأعاصير غالباً ما تكون مقصودة ومفتعلة ، وهناك قوى خفية تحركها وتنفخ في نارها ، وهي لا تنشد الخير للعرب ولا للغة العربية . وأن استلوا لسان النصح والارشاد وسالت دموع تباكيهم على العرب ولغتهم العربية ، والسبب الذي أثبتته الأحداث بأن ذلك كان يتزامن مع استقلال بعض الدول الافريقية والآسيوية وبخاصة الاسلامية منها وغدت تبحث عن لغة عالمية تعتمدها كلغة ثقافة وعلم وكتابة ولغة مستقبل لشعوبها غالبيتها فكرت

باللغة العربية ابتداءً كما حدث مع اندونيسيا والدول الافريقية ..

وهكذا يوعز الى العملاء ومن في نفوسهم مرض والبسطاء والمغفلين باثارة الموضوع في الصحف والمجلات وتثار الأقاويل والأقلام وتعلو جُلبة وضجيج بين مؤيد ومعارض .. ومن ثم تتحرك القوى المضادة وبمسالك اخرى هم يتقنونها ويمارسونها ، يجرون اتصالاتهم مع تلك الدول والشعوب ورجال السلطة والقرار ليضعوا أمامهم الآراء والأقاويل المشككة بقدرة أو عجز اللغة العربية وقصورها عن مواكبة التقدم العلمي العالمي والتقنية المتطورة وبشهادة واعتراف ابنائها ، أي اتباع اسلوب من « فمك ادينك » .

وبذا غيرت تلك الدول مواقفها واتجهت الى لغات اوربية اخرى كالفرنسية أو الانجليزية ، وهذا هو الهدف المقصود .

الملحق - أ -

نشر الاستاذ مدني صالح – استاذ الفلسفة في جامعة بغداد . مقالا يشجع فيه استعمال بعض الكلمات المعربة مثل – الاكاديمية والتكنولوجيا ... . وفيها غمز وانتقاص من المدرسة المستنصرية والنظامية ونشره في جريدة القادسية الغراء فكان هذا المقال الذي نشرنه جريدة القادسية في الاسبوع الثاني . الأحد ١٥ / ربيع الأول / ١٤١٠هـ . ١٥ / تشرين الأول / ١٩٨٩ ، العدد (٣٠٤٣) .

« ناس تأكل الحصرم ... وناس تضرس اسنانها »

اللواء المتقاعد الطبيب

رأجي عباس التكريتي

غالباً ما أقرأ عنوان موضوع ما يكتبه الاستاذ مدني صالح واكتفي . وآخرون يقرأون فبعضهم يعرف والغالبية لا تعرف اين البداية وأين النهاية وما الهدف والمقصود .

وقرأت له في القادسية العدد ٣٠٢٩ الأحد « ١ » ربيع الأول ١٤١٠هـ وهو جواب وتوضيح لما كتب ونشر في جريدة الثورة الصادرة في العددين : الخميس ١٩٨٧/٣/٥ و ١٩٨٧/٣/١٢ . وهذا مأخوذ من متن المقال الذي كتبه الاستاذ مدني من غير تلاعب في التاريخين .

والانسان يسأل نفسه ويسأل الاستاذ مدني لماذا هذه السرعة في الكتابة والتعقيب بعدما يزيد على سنتين وستة أشهر بكامل عددها وأيامها ولياليها .. هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تقضي الأمانة العلمية ان ينشر الشرح والتعليق والتخطيء لرأي صحيح على نفس صفحات الجريدة وخلال فترة لا تتجاوز الأسابيع ...

وقرأت المقال من ألفه الى يائه الا بعض الأسطر قد سودها الطبع ولم استطع فك رموز الكلمات بالرغم من استعمالي المكبرة والنظارات ... وفعل جيداً وقد استهل المقال : « كي لا تذل لغتنا العزيزة » .. وليت اكتفى الأساتذة بهذه الفقرة أو الجملة ، وليتني اكتفيت كعادتي بقراءتها فقط واستغنيت عن قراءة المقال بطوله وعرضه وسفسطائياته الخ ... الخ ... الخ ... ذهب الاستاذ

يسرد الحوادث ويصف البساتين والحدائق ليعرفنا أن افلاطون الفيلسوف كان يجلس مع تلامذته ومريديه في بستان اسم صاحبه « اكادميوس » ومن هذا الاسم الخالد الذكر الذي كان صاحب البستان أو فلاحه ، أو مغارس فيه أو « بعوحي » اشتقت كلمة « الاكاديمية » وذهب شرقا وغربا وشمالا ولم يذهب جنوبا ليضرب الامثلة والشواهد الأكاديمية وأهمية الخالد الذكر اكاديميوس ... والمهم الفلسفة الاكاديمية السويدية والأكاديمية البريطانية الخ ... الخ ... الخ ... وهذا مأخوذ من المقال ويذهب ليثبت حقائق واضحة ومعروفة وبديهية . ان الاكاديمية ، اكاديمية ، فلا هي جامعة ولا هي كلية ، وهذا واضح ومعروف أيضاً . فأين الجديد من ذلك . هذه بديهيات يعرفها أبسط المثقفين والمتعلمين .

ولكن الاستاذ مدني نسي أو تناسى بداية المقال ، بأن الاكاديمية مأخوذة من اسم « مدرسة » لافلاطون في بستان اكاديميوس . أي ان الاكاديمية وبعرف الاستاذ مدني هي مدرسة ليس الا . وهذه حقيقة معروفة ، وان صاحب الاستاذ مدني « اكاديميوس » صاحب البستان الوافر الظلال لا يزيد عطاءً ولا منزلةً على الجامعة المستنصرية ولا النظامية التي حاول أن يحط الاستاذ مدني من قدرهما ومنزلتهما العلمية . وان المستنصر بالله الذي أمر ببناء المستنصرية ولا النظامية التي حاول أن يحط الاستاذ مدني من قدرهما ومنزلتهما العلمية . وان المستنصر بالله الذي أمر ببناء المستنصرية أرفع منزلة وأكبر قدراً ألف مرة من اكاديميوس وكذلك نظام الملك الذي أمر ببناء المدارس والمستشفيات .. حيث المستنصرية بنيت لتكون مدرسة وجامعة للعلوم كل العلوم بما في ذلك الطب والفلسفة والفلك الخ ... الخ ...الخ . والنظامية هي الاخرى انشئت لتكون مناراً للعلم والمعرفة .. ومن ثم لماذا التلاعب بالمعنى والألفاظ؟ فمن الذي أراد أن يكون هناك - المستنصرية البريطانية والنظامية السويدية - حتماً انهم لا يفعلون لأنهم يحترمون أنفسهم وتراثهم وتاريخهم ويعتبرون التراث الاغريقي امتداداً لتاريخهم ، فلماذا نحن ننحدر بمهاوي التقليد واذا كان هذا تمسكه بالأكاديمية ولا يقبل أن يشاع اسم المستنصرية والنظامية والجامع الأزهر وجامعة القرويين وجامع الزيتون الخ ... الخ ... الخ . فقد يخرج علينا - واعتقده سيفعل - ويطلب أن نعلن عن جامعة المشائين وكلية الرواقيين

- والعياذ بالله من كل دخيل غير سليم ... لماذا تسمى جامعة كمبرج ولا تقول اكاديمية كامبرج ؟ وكلية امانوئيل ولا اكاديمية امانوئيل ؟ ولا اكاديمية تنتي الخ ... الخ ... الخ . ونحن لا نقول أبداً أن تكون المستنصرية السويدية ولا النظامية الانجليزية أو الفرنسية ، وانما تبقى المستنصرية عربية اسلامية والنظامية عربية اسلامية ، وكذا كان جميعها قد حققت انتشاراً علمياً عالميا ونشرت الحضارة والثقافة واشعاعها الفكري لتغمر شرق الأرض ومغاربها .

ولكن أسأل الاستاذ مدني صالح لماذا ينسى أو يتناسى ان الغرب بكافة ملله ونحله ومن وراء ذلك المنظمات الثقافية الصهيونية والتبشيرية قد تنكرت لحضارتنا وعلومنا وثقافتنا منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا وانهم في كتبهم وتثقيفهم وكلياتهم وجامعاتهم وأكاديمياتهم « حتى لا تغضب » قد ركزوا بأن أصل العلم والهندسة والطب والفلسفة والفلك - بدأت ونشأت في بلاد الاغريق وكأنها وجدت من العدم !!

ولكن - نعم - ولكن بعد أن اكتشفت البرديات سميت - واربس الخ ... الخ . وكذلك مكتبة آشور هانيبعل - بألواحها « ٢٠٠٠٠ » لوح بأنها تشمل كل العلوم المعروفة آنذاك . والمسلات والكتابات السومرية والهيروغلوفية حيث غيرت المفاهيم السائدة .. واذا بنظرية اقليدس في الهندسة مأخوذة من بابل وان حية « اسكلوبيوس » شعار الطب موجودة كشعار لآلهة الشفاء في وادي الرافدين ومثبتة على دورق الدواء واذا ما سهل الله عليك وذهبت الى باريس فأرجو ان تزور متحف اللوفر وستجدها هناك الحية والدورق ومسلة حمورابي ...

وان اغلب علماء الاغريق الأوائل قد زاروا الشرق وانتهلوا من علومه وثقافاته وحضارته ... في الوقت الذي جاء الاغريق كقبائل متوحشة من الشمال - كالدورين والهليون ... الخ ... الخ . وسحقوا حضارة كريت المزدهرة وعلاقتها الثقافية والعمرانية مع حضارة مصر وفلسطين ، ومن ثم عملوا كجنود مرتزقة في الجيش الفرعوني وحرمهم من الاختلاط مع المصريين المثقفين المتحضرين ، الأمر الذي مكّنهم الاطلاع عن كثب واقتباس اسس العلوم والمعرفة . وطبعاً لا ينكر ناكر بما اضافه الاغريق وابدعوا في العلوم بكافة فروعها وفنونها .

ولكن الغرب لا يزال يحاول أن يتجاهل هذه الحقائق ، ولا يعطي للعرب المسلمين ولا لأجدادهم الذين سكنوا الأرض العربية هنا في وادي الرافدين وهناك على أرض الكنانة وسواحل فلسطين حقهم اللائق في تأريخ العلم . وسيادتك يعلم لماذا ومن يقف وراء ذلك من بعثات تبشيرية حاقدة ومنظمات صهيونية وماسونية واستعمارية الا القلة القليلة من ذوي الضمائر العلمية الحية والأمانة في استقراء حوادث التاريخ .

فيا استاذ مدني ان اجدادك العرب الأوائل عندما انشأوا أول دار للعلم في بغداد وأسموه - بيت الحكمة - وبعد فترة أُنشيء « دار الحكمة » في القاهرة فلماذا لم يقولوا - اكاديمية القرويين واكاديمية الحكمة واكاديمية الأزهر . واحب أن أؤكد لك وارجو أن نتواضع أمام الحقيقة ، والحقيقة مهمة والعهد على الشيخ افلاطون الذي يقول « ان الصديق والحق كليهما عزيز علينا ولكن أمام الحق علينا أن نضحي بالأصدقاء » . ان الذين أسسوا بيت الحكمة ودار الحكمة أعلم منك بلغة الاغريق وفلسفتهم وثقافتهم وتراثهم العلمي ... لأنهم قرأوها في مصادرها وترجموها مباشرة أو عن طريق السريانية وزاروا قراها وصوامعها واقتنوا كتبها بأغلى الأثمان ومن ثم دع الأكاديمية للسويد والانجليز والألمان - الغربية والشرقية - وروسيا الشيوعية - والفرنساويين « ولنبقى نحن على أسمائنا العربية الجميلة ... الجامعة - المدرسة - المعهد - بيت العلم - بيت الحكمة - دار الحكمة - المكتبة - الجامع ... الخ ... الخ . وجميعها أجمل لفظاً وأسهل تعبيراً وأعمق اصالة وأرسخ وطنية ..

وتضرب مثلًا عن التكنولوجيا - وهنا خانك التعبير - وأرجو عندما تكتب مقالًا من هذا النوع أن تقرأ التأريخ وتأثيل وتأصيل اللغة كقراءتك الفلسفة أو يزيد - لتتوضح امامك الأمور - فمثلًا ان كلمة تكنولوجيا التي تذكرها وتتمسك ويتمسك بها آخرون ، ان اصلها - تكنو - وهي مأخوذة من تقن ومعنى تقن باللغة - التفقه بالشيء - واضيف الى أصل الكلمة - تكنو - لوجي - أي علم ، وهذا فكلمة التقنية عربية اصيلة وتدل على ذوق لغوي ومعنى دقيق ...

لا اعترض على تعريب كلمات لا يوجد ما يقابلها من العلوم الحديثة وبكل الفروع ، ولا أقف ضد الدخيل من الكلمات الضرورية التي نحتاجها وتحتاجها الترجمة - ولكن بشرط - أن لا نستسهل السهل ولا نتعب أنفسنا

بالبحث والاستقصاء وأضعف الايمان استشارة فقهاء اللغة ولا ضير في ذلك ولا يشكل نقصا علمياً ولا أدبياً للباحث أو المترجم . لا أن تدخل كلمات تبدو نشازا ونتداولها ونتفلسف بها وننسى الكلمات العلمية الدقيقة التي لا ضير في تعريبها كما هي ونقلها الى اللغه العربية وبما ينسجم مع اللفظ العربي والذوق اللغوي . وجاء في حديث مدني صالح : « اما من جهة العلم الكلي منها فان اللغة العامة من الحادث الحديث المستحدث المصنوع المكتسب لأمن القديم الغريزي الازلي الابدي » .. حقا هذا ما أورده مدني - حقا وحقيقة - وأنا أسأله بهذه الطلاسم التي يحتاج الكثير من القراء الى توضيح وتسهيل ، لأن الصحافة تخاطب عامة القراء ولا الخاص المختص المخصوص من القراء . ومثلما نطلب من القراء أن يفهموا ما يقال على الكتاب أن يقولوا ما يفهم !! ومن ثم سؤال آخر :

هل كلمة « اكاديمية » و « تكنولوجيا » حديث مستحدث ، وهي تذهب الى عهد افلاطون . وهل هي الوسائل لا الغايات وأين موقع الحداثة فيهما ؟. اما أن يكون مزج الكلمات وخلط الأوراق والجمل .. فاذا قصدت اهمال القديم من التراث فهذا موضوع آخر وله حديث آخر . لأن تراث الحضارة العربية ثر وزاخر ليس في العلوم فحسب وانما في اللغة ومفرداتها وأساليب اتساعها .

ومن الذي استطاع أن يجاري الكندي بوضع المصطلحات الفلسفية ؟. أنتم جميعاً أساتذة الفلسفة وفي كل فروع الفلسفة . وأشمل جميع الجامعات العراقية وحتى العربية . ونحن في القرن العشرين ومن الذي يجاري حنين بن اسحاق وابن مأسوية ... الخ ... الخ ... الخ . فأنا استغرب أن يصدر هكذا التباس من مفكر ودارس ومدرس للفلسفة منذ عقدين من الزمان أو يزيد ..

ويشير الاستاذ مدني في آخر مقالة أو قبل الأخير حول موضوع نشر في الثورة بتاريخ ١٢ / ٣ / ١٩٨٧ أي بعد سنتين ونصف السنة فلماذا هذا السبات العلمي الطويل ، والحوارات عادت بأزمانها وأوقاتها . وكما يقول فيلسوف الماني ، ربما يكون شوبنهور - واذا أخطأت فلا مانع من التصحيح . وأنا أقبل شاكراً ذلك مع الممنونية . يقول - الفيلسوف - وليس الطبيب « أنت لا تنزل الى النهر مرتين » وأجد نفسي هنا متفقا اتفاقا كليا مع مدني

صالح بأن الحكيم غير الدكتور ، وطبعاً من غير أن أقسم « والله العظيم » لان الصادق والمتمكن من علمه ورأيه لا داعي ولا ضرورة لان يقسم بالله العظيم ولا الانبياء ولا الأولياء ولا حتى ان يحلف بالطلاق لا المرة ولا المروة !!

هذه كلمات يتداولها الناس عامة وليس فلاسفتهم ومثقفوهم ومنظروهم ! ولكن يا استاذ مدني كان عليك أن تشرح وتوضح لا أن تقسم لان في فقه القانون البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، فلا أنت أعطيت البينة ولا نحن أنكرنا !!

نعم ان كلمة دكتور غير كلمة حكيم وهذه بديهية ومعروفة هي الاخرى وأيضاً ليس كل من تفلسف حكيماً !!. لأن الاستاذ مدني ربما كان أقدر من غيره أن يشرح معنى الدكتور ومعنى الفلسفة ومعنى الحكيم لأنه الدارس والمتعلم في جامعة كمبرج وطبعاً ليس اكاديمية كمبرج أي « كمبرج يونيفرستي » وليس « كمبرج اكاديمي » ... وأنا أسأل واعتقد لا خجل ولا ضير من السؤال العلمي **الصادق الصدوق - هل اقترح الاستاذ مدني على الانجليز أن يغيروا اسم الجامعة الى اكاديمية ؟ فاذا فعل فماذا كان الجواب ؟ واذا لم يفعل فلماذا ؟.**
كلمة الدكتور يا استاذ مدني - وأقولها الى عموم القراء - تعني باللغة الشكسبيرية القديمة المعلم - نعم - المعلم ! لا تعني الطبيب ولا تعني الجرّاح ولا تعني الفيلسوف ولا تعني الاستاذ . ومن ثم وبتطور العلوم من المدرسة الى الكلية الى الجامعة سارت معها كلمة دكتور وغدت تعني المعلم الاكاديمية ! أما كيف انتقلت الى الطب والأطباء فحقاً وحقيقة - لا أعرف - وسأحاول ان اعرف ، وأكون شاكراً أو ممتناً ان غاص الاستاذ مدني في أعماق المعاجم والقواميس ليظهر لنا هذه الحقيقة التاريخية المهمة .. والانجليز لا يزالون يقولون « فزشن » للطبيب و « مستر » للجرّاح ... الخ ... الخ .

اما كلمة الحكيم وهو أعلم بمعناها الدقيق وهي قطعاً غير الفيلسوف ، وهو قد درس الفلسفة في جامعة كمبرج ويدرّسها في جامعة بغداد ...

اما العرب فقد استعملوا كلمة - الحكيم - لمن يصف الحكمة والموعظة ومعالجة عقول الناس ، ولذا قالوا لقمان الحكيم الذي ذكره القرآن الكريم ... ومن ثم اخذت مجازاً أو قياساً وهذا جائز لغوياً واستعملها العرب لمن مارس الطب وتمرس فيه والى سنوات وحتى يومنا هذا في بغداد وهيت وتكريت ولبنان

وسوريا والسعودية وتونس يطلقون كلمة - الحكيم - على الطبيب كما استعمل العرب كلمة آسي وآسية ومتطبب وطبيب ...

وقد شرحت ذلك في مقال عقبت فيه على مقال الاستاذ يوسف نمر ذياب وأنا اتفق مع مدني بأن ليس كل « مدعبل جوز » وهكذا يقول المثل الشعبي وليس تحريفاً كل « كروي جوز » ، وأيضاً ليس كل ما ينشر ويقال صحيحاً وان عزز بالقسم واغلظ الايمان وليس كل ما يقال يخدم الثقافة واللغة العربية .

وختاماً لم يأت مسكاً حيث أراد من هذا المقال بطوله وعرضه تأييد ودعم للاستاذ يوسف نمر ذياب ، وأنا أقول ان للاستاذ يوسف من القدرة والامكانات التي تغنيه عن الفزعات العشائرية وأنا استفيد وأقرأ له وألتذ بما يكتب على عكس كتابات الاستاذ مدني الذي أضعف الاستاذ يوسف بتأييده ولم يضف زخماً اليه فرفقاً باللغة العزيزة يا استاذ مدني ورفقاً بالقراء - عموم القرّاء - والله من وراء القصد .

ملحق - ب -

نشر الاستاذ يوسف نمر ذياب مقالًا حول التعريب فيه مساس بالقرار الذي اتخذه المجمع العلمي حول تسمية الألقاب العلمية بكلمات عربية بدلًا عن الكلمات المعربة ونظراً لأني لم اوافقه على ما جاء بمقاله فقد كان هذا المقال الذي نشرته جريدة القادسية الغرّاء في الاسبوع التالي ، الأحد ٦ / ربيع الثاني / ١٤١٠هـ ، ٥ / تشرين الثاني / ١٩٨٩م .

التعريب مرة اخرى !!

اللواء المتقاعد الطبيب

راجي عباس التكريتي

قرأت مقال الاستاذ يوسف نمر ذياب قبل اسبوعين من الزمان ، وجالت خاطرة في ذهني أن أكتب تعقيباً أو توضيحاً حول ما جاء في موضوع طرقه

ولم يكمله ولم يوضحه بما فيه الكفاية من الدراية ... مؤيدا لبعض ما جاء في المقال ومخالفا للبعض الاخر .. وقد وضعت الخاطرة جانبا لاني بصدد اعداد كتاب يعالج الموضوع في جوانبه المتعددة وعلى وشك الانجاز واملي ولابد أن يرى النور في اواخر هذا العام أو بداية العام القادم ان شاء الله .

وسمعت ولم أقرا - للأسف - التعقيب الذي أدلى به الاستاذ عبدالمجيد القيسي لاختفاء الجريدة ذلك اليوم ولم أحصل على العدد المشار اليه .

ورجائي من الاستاذ يوسف نمر ذياب أن يسمح لي أن ابدي رأيا وأنا اواصل قراءة ما يكتب وأعجب باسلوبه في معالجة المواضيع . وثانيا أن لا يتصيد الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية كما فعل مع مقال الاستاذ القيسي لأسباب كثيرة أهمها اني لا أتصيد الكلمات الاعجمية وأنا أكتب عادة باللغة العلمية وليس بلغة أدبية ، فلغة ابن سينا وابن العباس والرازي . تختلف في كتابتها عن لغة ابن المقفع ، وعبدالحميد الكاتب وابن العميد . وثالثا يا استاذ يوسف عندما كنا أيام زمان في بداية دراستنا المتوسطة وحتى الثانوية كنت من المولعين والجيدين في الانشاء والاعراب والبيان والبديع وأنا الذي أمثل الصف في كتابة المواضيع أو القائها . ولكن - نعم أقولها ولكن - في الاعدادية الرابع والخامس كان هناك مدرس قدير واحد لتدريس اللغة ونسب الى الفرع الأدبي وتخرج على يديه - الاستاذ الأديب عناد غزوان - وتركنا من غير مدرس عربي . ولما جاء بعد شهرين أو ثلاثة وهو خريج يافع من دار المعلمين العالية وقد توفاه الله - رحمه الله - لأنه كان مريضا في حينها فضاعت الايام والحصص بين مرضه وطيبته ومستواه المتواضع الذي لا يزيد كثيراً على معلوماتنا المتواضعة . ومن ثم بعد أن انصرفنا الى قراءة الكتب العلمية شغلتنا عن مواصلة قراءة الشعر والنثر والاعراب والاطناب .

وان خير الكلام ما عبر عن المقصود ويوصلك الى الهدف وان يفهم ما يقال وليس كبعض المقالات التي تكتب وهي بحاجة الى مفاتيح لفك أسرار تراكيبها وكلماتها المتناثرة والمتناحرة .

ولا أختلف مع الاستاذ يوسف بأن لا نقف بتزمت أمام الكلمات الضرورية التي قد نحتاجها وتجد طريقها الى اللغة العربية - بالتعريب والدخيل - وفعلا قد دخلت لغتنا الكثير من هذه الكلمات . وكما ذكرت في مقالك الأول

والثاني ولكن وأرجو ان تشاركني الرأي أيضاً بأن لذلك قواعد واصول في ادخال هذه الكلمات والا سنجد أنفسنا نستعمل لغة أو نضيع في ارجاء الوطن العربي في بحر من الكلمات الاعجمية لا يفهمها ابن المغرب العربي أو لا يفهمها ابن المشرق العربي .. فما الداعي أن نستعمل كلمات أعجمية اذا وجد في اللغة العربية ما يقابل ذلك وأسهل منها انسجاماً واعراباً ودلالة للمعنى .

قبل عقدين من الزمان عقد هنا في بغداد « مؤتمر عربي » للوثائقيين العرب واذا الصحف أيام زمان تنشر وبحروف كبيرة « المانشيت هذه » [مؤتمر الببلوغرافيين العرب] وقلت في حينها يا عرب ويا صحافة ويا مجمع علمي ويا ادباء – الا يوجد في لغتنا العربية وهي غنية وزاخرة بمفرداتها ومسمياتها لتعبر عن معنى هذه الكلمة الدخيلة المعقدة كأن نقول مؤتمر الوثائقيين أو المفهرسين أو ... أو ... . ومن ثم هناك العشرات بل المئات وآلاف الكلمات التي تستعمل ولا ضرورة لها . وان الجأتنا نحن الأطباء أن نستعمل مجازاً بعض هذه الكلمات – فعذرنا وكما أسلفت .. ولكن لا عذر لكم ادباء هذا الجيل ان تدخلوا هكذا كلمات وانما اتعبوا واجهدوا أنفسكم للغوص واستخراج الكلمات المعبرة والسليمة لغوياً – ولا يجوز العكس .

قبل سنة أو سنتين حضرت ندوة عقدت على جانب تجمع المربد – وهي ندوة أدبية عربية لغوية شعرية ... ويقرأ المتحدثون مقالاتهم وأحايثهم بأوراق ومنها الكثير من الكلمات التي لا صلة لها باللغة والأدب والصرف والاعراب ... [السيولوجي – الايديولوجي – التكنولوجي] . ووقتها خرجت ولم أعد بعدها الى هكذا ندوة حفاظاً على ذوقي اللغوي . ومن ثم قد تكون هناك ضرورة في الترجمة عندما يجد المترجم نفسه في محنة لاختيار كلمات معبرة عن المعنى الدقيق لتلك الكلمة – ويختار كلملة – يعربها لتناسب المعنى والذوق اللغوي .

وأسألك يا استاذ يوسف وأسأل الاستاذ الفيلسوف مدني صالح .. وطبعاً كلمة فيلسوف معربة وليست اصيلة الذي ايدك ولا اعرف ولماذا ؟ وطبعاً لا يعرف هو لماذا ؟ وحتى اذا كتب واطنب في تأييده وكما فعل في مقاله المنشور بجانب مقالك – فسيبقى القارىء في حيرة من أمره – وهذا شيء حسن .

وربما كان لي حديث خاص حول أكاديمية مدني صالح – لا سامح الله – استعملت العرب كلمة « البيمارستان » وهي كلمة فارسية ، مركبة من كلمتين

- ستان ومرضى - ولكن بعد حين ادخلت كلمات المستشفى من الشفاء أو المصح أو كما يقال في المغرب العربي - مربض المرضى - وهذه كلمات على تباينها أسهل لفظاً وأسلم ذوقاً وتعبيراً وسلاسة .

فاللغة تنمو وتتوسع وتتطور بقدرات ابنائها على اطلاق المسميات أو بالاشتقاق أو القياس أو المجاز أو النحت . وهذه أساليب مقرّة ومعترف بها بل ومحبذة علمياً ولغوياً ووطنياً . وهكذا ادخلت كلمات - الهاتف بدل التلفون . والسيارة عن الطرومبيل أو « تومبيل » . القطار عن الشمندفر . وعربوا التلفاز عن التلفزيون والتلفزيون مركب من كلمتين . وحتماً يعرفها مدني صالح وهو دارس في جامعة « كمبردج » تلي - فشن أي ما وراء النظر وهي كلمة مركبة قلباً وقالباً .

وأؤيد ما ذهبت اليه يا استاذ يوسف عن قصور المجامع اللغوية عن مواكبة التطور العلمي السريع ، فهذا وارد صحيح ولا اعتقد نختلف حوله ولا يختلف حوله اثنان ، ولكن قبل أن اسبر غور هذا الموضوع وأنا لا أعرف وليتك تعرف وتنورني والقراء .

ولماذا نقول المجمع العلمي العراقي ولا نقول المجمع اللغوي العراقي لأنه لغوي قلباً وقالباً وصرفاً وتركيباً ، وأنا واثق ان اللغة العربية عاتبة عليه وواجدة أيضاً لهذا السبب ولأسباب اخرى !. ومن ثم ادخال كلمات قد لا تعبّر عن المعنى الدقيق للكلمات ومثال ذلك - الفاضل - الماجستير - والفاضل من الفضل واعتقدها تطلق على الكثير من الأسماء والمسميات حتى وان لا يملك صاحبها ذلك التحصيل العلمي - فحاتم الطائي فاضل وجواد وكذا يقال عن زيد وعمر - وقد أطلق الأطباء العرب صفة الفاضل على الحكيم جالينوس لاعطائه صفة الفضل في وصفه كانسان وليس لتقدير درجته العلمية ...

واللغة العربية غنية في اختيار الكلمات لتعبر عن هذا المعنى أو ذاك ، وهناك العشرات من الكلمات والمسميات - العالم - العلامة - والشيخ واللوذعي والمجتهد والنحرير والنطاسي والنابغة والضليع و ... و ... .

فلماذا اختار المجمع هذه الكلمة بالذات ولم يوفق فيها وان وفق في بعضها الآخر فعلمها عند ربي والراسخين في اللغة وشيخ المجمع المؤرخ العلمي !

واشارتك يا استاذ يوسف في مقالك الاول ومن ثم رجعت اليه مرة اخرى منهجاً وسياقاً « العود أحمد » ولكن لا أعتقد بأنك وفقت بضربك المثل من غير أن تفسر وتشرح معاني الكلمات وان نحن اعذرنا الفيلسوف الاكاديمي مدني صالح فلا يعذرك القارىء لأنك لغوي وأديب وناقد وكان بودي أن يتحرك أو على أقل تقدير يتململ المجمع اللغوي العراقي ويجيبك على الكثير من الاستفسارات لأنها الجهة الرسمية المخولة بالاجابة وان لم يكن الأوحد كفاءة وقدرة في تناول المواضيع .

فكلمة « دكتور » التي تناولتها في مقالك الأول ورجعت اليها في الثاني وأملى أن لا تتكرر في الثالث – هي كلمة اعجمية – انجليزية – ادخلت في بداية المعرفة في انكلترا واطلقت على المعلم ... ومن ثم مع تقدم العلوم وتطور المعرفة انتقلت لتعبر عن المدرس وبعد حين اطلقت على مدرس الجامعات – على المعلمين فيها – .

وقد أشار الاستاذ الحكيم كمال السامرائي في مقال نشره في مجلة الف باء قبل أسابيع ... وتذكر وذكر الاستاذ السامرائي بأن الكلمة أصبحت عالمية وهذا صحيح الى حد ما فأكثر اللغات التي أخذتها ابتداءً كانت تعتمد بمفرداتها اللغوية العلمية على اللغتين اللاتينية والاغريقية ... ومن ثم وبعد ان انتشرت المستعمرات البريطانية وغدت لا تغرب عنها الشمس نشرت هذه الكلمة شرقاً وغرباً وبخاصة في اللغات الشحيحة والتي لا تملك سعة في مفردات اللغة ولا تراث غني ... ولله الحمد نحن نملك ثروة هائلة في هذه الكلمات ، فقد استعمل العرب كلمات : الاسي والآسية – لتسمية من يتعاطى التطبيب والتمريض ورعاية المرضى والجرحى ، وأنت تدرك أكثر من غيرك وحتى أكثر من مدني صالح معنى المؤاساة واسى فلان فلاناً أي شاركه في معاناته وآلامه – أو بهذا المعنى – وقبل هذا وذاك استخدم السومريون والآشوريون والبابليون كلمات – اسو – واسي ورب اسي لوصف الأشخاص الذين يتناولون معالجة المرضى . فهل كلمة الاسية والاسي مأخوذة من كلمة « اسو » و « رب اسي » فهذا متروك لعلماء اللغات العراقية القديمة وعلماء اللغة الحديثة ان يتبحروا في عمق المواضيع .

واستعمل العرب كلمة المتطبب لمن مارس الطب حديثاً ، ومن ثم الطبيب لمن تقدم في ممارسة الطب – ولكلمة الطبيب معنى دقيق ومعبر في اللغة

العربية وتعني المداراة والترفق بالشيء وبصفتك ناقداً وأديباً وان لم اقرأ لك شعراً فارجو الرجوع الى ديوان عمر بن ربيعة وستجده كيف يصف مغنية بأنها طب عالمه بتطبيب النفوس برقتها ولطفها ...

اما كلمة ، الحكيم ، فهي غير كلمة فيلسوف وبامكانك أن ترجع الى قسم الفلسفة ولك فيه أصدقاء ومعارف وهم يشرحون الفرق بين الحكيم والفيلسوف - ومن ثم كلمة حكيم عربية - وهكذا قالت العرب لقمان الحكيم - وبيت الحكيم وبيت الحكمة ودار الحكمة - وقد أخذها العرب مجازاً أو قياساً وأطلقت على الفلاسفة والأطباء ويجوز أخذ الكلمات مجازاً لتعبر عن مسميات متقاربة في الهدف والمعنى . وقيل لقمان الحكيم لأنه كان يعالج الأبدان من الاسقام ، وقاك الله شرها . ولو سألت جدتك لعرفت انها تعرف كلمات الطبيب والحكيم ولا يعرفن كلمات الدكتور والفيلسوف والفاضل بأنها الماجستير .

والى يومنا هذا والمغرب العربي وفي سوريا ولبنان وقبل مجيء الانجليز الى العراق ولواء الدليم وهيت - والناس كل الناس تطلق كلمة الحكيم على من يتعاطى التطبيب - ولا تعتقد أو يجول في ذهنك بأني أو الحكيم مظفر زبير القاسم نستعمل كلمة حكيم لأننا حكماء - ومعاذ الله أن نحلم بهذا لأن دون ذلك خرط القتاد .

وانما القصد ادخال الكلمات العربية الأصيلة السليمة لتعبر وتعوّض عن الكلمات الدخيلة ليس الّا . وأن تترك كلمات التعريب والمعربة عندما تكون هناك ضرورة قصوى !... ومن ثم الانجليز وأولاد الانجليز يستعملون كلمات غير كلمة « دكتور » التي تقصدنا وتمسكنا بها . فهم يقولون « فزشن » للطبيب و « مستر » للجرّاح و « ابثولمولوجست » لطبيب العيون و « كاينولوجست » للاستاذ كمال السامرائي .. وهكذا ، ولكن اتراصف معك وأنظر من زاويتك ويمنظارك فقط لبعض الكلمات اذا ما عجزت اللغة عن الاتيان بمسميات وليس أن يعجز الكاتب أو المترجم من معرفة كنه اللغة ويدخل كلمات معقدة ودخيلة ويوجد في اللغة قديمها وحديثها ما يغني ويعطي المعنى والاسم الصحيح ...

- والسهل مركبه وطيء ..

هكذا قالت العرب . وتبقى الأسماء التي لا مرادف لها أو أسماء الاله والاعلام والأدوية والأمراض ، كأن تقول « مرض يوتز » نسبة الى الطبيب الانجليزي الذي وصفه ثاني مرة ، وهذا حق المكتشف أو المخترع وقد نشر

الاسم الانجليز . ولكن أليس من حقنا أن نعلم ان الذي وصفه الجرّاح « الزهراوي » ابتداء وقبل يونز بمئات السنين ! فاللغة العربية واسعة وزاخرة ولا اعتقدها بموقف يخشى عليها من أن تغزوها الكلمات الدخيلة ولكن باصول وقواعد .

فالحضارة والثقافة والعلوم تهب ذات اليمين وذات الشمال . وهكذا انتقلت عبر التأريخ من أرض سومر الى بابل واشور الى شواطىء فلسطين والى بحر ايجة وكريت وانتقلت معها الكلمات ودخلت في صميم اللغة الاغريقية . واحيلك الى كتابات الاستاذ العلّامة عبدالحق فاضل ، ومن ثم مع انتقال العلوم من بلاد اليونان والسريان الى الأرض العربية انتقلت معها الكثير من الكلمات الاغريقية ولا اعتراض على ذلك – وبعدها وخلال النهضة العربية الاسلامية – انتقلت الحضارة والعلوم لتغمر الدنيا وانتقلت معها العشرات والمئات من الكلمات في الطب والفلك والفلسفة والرياضيات ...

وها نحن الآن نقتبس ونستفيد وننقل وندخل كلمات وكلمات ولا اعتراض على ذلك ولكن أن يتم ذلك وفقاً لقواعد مدروسة واصول وأساليب متبعة لا يجب أن نفرط بها وان لا يتوانى الادباء ولا المجمع العراقي العلمي أو اللغوي – التنبيه عنها لا أن يستمر بسكوته وهدوئه وسكوته عما يدور في الصحافة والساحة العلمية والأدبية – وكأن الأمر لا يعنيه وهو المعني والمسؤول أولاً وليس آخراً أمام الجيل العالم والمثقف ، وهو المتضلع بالتاريخ واللغة وللتاريخ القول الفصل .

والله من وراء القصد

المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الدكتور أحمد بن عيسى - التهذيب في اصول التعريب ، القاهرة ، ١٩٢٣ .

٣ - الدكتور أحمد مطلوب - حركة التعريب في العراق ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٣ .

٤ - السيد ابن منظور الافريقي المصري - لسان العرب ، دار صادر ، جـ ١ .

٥ - الحكيم كمال السامرائي - المصطلح الطبي في التراث العربي - مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٦ - الحكيم راجي عباس التكريتي - تعريب الطب متى يكون ، ملحق المجلة الطبية العراقية ، العدد الأول ، ١٩٧٥ .

٧ - الحكيم راجي عباس التكريتي - التراث في تسهيل عروبية التعليم ، مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٨ - الحكيم راجي عباس التكريتي - التجربة اليوغسلافية في نقل العلوم الى اللغة الصربية - مؤتمر تعريب العلوم في الوطن العربي ، بغداد ، ١٩٧٨ .

٩ - الحكيم راجي عباس التكريتي ، جريدة القادسية ، بغداد ، العدد ٣٤٠٣ ، في ١٥ تشرين الأول ، ١٩٨٩ .

١٠- الحكيم راجي عباس التكريتي ، جريدة القادسية ، بغداد ، ٥ تشرين الثاني ، ١٩٨٩ .

١١- الحكيم عادل البكري - رسالة خاصة حول تعريب الطب .

١٢- الحكيم عزالدين شكارة - تدريس الطب باللغة العربية - آراء وخطة للمناقشة - مؤتمر اتحاد الأطباء العرب ، بغداد ، ١٩٨٩ .

١٣- عبدالعزيز بنعبدالله - التعريب ومستقبل اللغة العربية - معهد البحوث والدراسات العربية - المنظة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٥ .

١٤- الحكيم فخري الدباغ - تعريب التعليم الجامعي بين العلم والوجدان - مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ، ١٩٧٨ . .

١٥- الحكيمة سرى فائز سبع العيش - لغة أدب وطب - المجلة الطبية العراقية ، تموز ، ١٩٧٣ .

١٦- محمد كرد علي - الاسلام والحضارة العربية .

١٧- الحكيم محمود الجليلي - المصطلح العلمي في التعريب ، بغداد ، ١٩٧٨ .

١٨- مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد السادس عشر ، بغداد ، ١٩٦٨ .

١٩- الحكيم محمد هيثم الخياط - كراس في سبيل العربية .

٢٠- ندوة تعريب التعليم الصحي في الوطن العربي ، دمشق ، ١٩٨٨ .

٢١- نحو خطة تنفيذية واقعية لتعريب التعليم الطبي في الوطن العربي ، تونس ، ايار ، ١٩٨٧ .

٢٢- السيد محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، جـ١٠ ، دار صادر ، ١٩٦٦ .

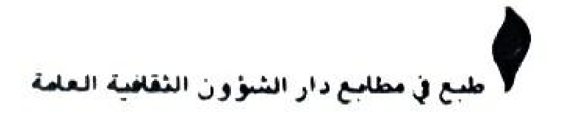
٢٣- منظمة الصحة العالمية - المكتب الاقليمي لشرق البحر المتوسط ، الاسكندرية ، ورقة عمل بشأن تعريب التعليم الطبي ، ٢٥ مايس ١٩٨٩ .

٢٤- تقرير مختصر عن تعريب التعليم العالي في الجمهورية العراقية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٧٨ .

كتب نشرت للمؤلف

١ - حفلة تعذيب صاخبة ، بغداد ، ١٩٦٤ .
٢ - امراض المفاصل في العراق ، بغداد ، ١٩٦٦ .
٣ - الصيام والصحة ، مترجم ، بغداد ، ١٩٦٦ . طبعة ثانية ، بغداد ، ١٩٨٨ .
٤ - شلل الأطفال ، بغداد ، ١٩٧٠ .
٥ - السلوك المهني للأطباء ، طبعة اولى ، بغداد ، ١٩٧٠ .. طبعة ثانية ، بيروت ، ١٩٨١ .. طبعة ثالثة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٦ - الظهار - وجع الظهر ، طبعة اولى ، بغداد ، ١٩٧٥ .. طبعة ثانية ، بيروت ، ١٩٨١ .. طبعة ثالثة ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٧ - طرائف الأطباء ، طبعة اولى ، بغداد ، ١٩٧٨ .. طبعة ثانية ، بيروت ، ١٩٨٤ .
٨ - الاسناد الطبي في الجيوش الاسلامية ، الدار الوطنية ، بغداد ، ١٩٨٢ .
٩ - الضحك ، بغداد ، ١٩٨٤ .
١٠ - الظهار والفصال في التراث العربي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ .

المواضيع


طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

تعريب الطب ، لماذا ؟ ومتى ؟ وكيف ؟

في اللغة العربية مفردات كثيرة ومعان لا تحصى اذا سبرنا غورها وتخيرنا اسماءها ، واذا ما تعذر علينا ذلك فما الضير من أن يكون هناك تنسيق مع علماء اللغة والأدب ؟

ففي اللغة العربية الاشتقاق ، وهناك النحت والتركيب والتعريب .

وهذا الكتاب واحد من الكتب التي تؤكد على موقع اللغة العربية وتكيفها من أجل الالمام بالمفردات واختيار المصطلح الملائم ، اذ ان اللغة العربية هي اقرب الى أصل المسميات متوخين بعث التراث العربي الاسلامي ، ففيه الدليل لاسلوب الأقدمين في النقل والتعريب .

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٧٦٣ لسنة ١٩٩١

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : رياض عبدالكريم

السعر.. ديناران

بغداد - ١٩٩١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

«توزيع الشركة الوطنية للتوزيع والنشر / بغداد